

المَدرسة الهُمامية
بتكريـت

صَرحٌ حَضاريٌ زاهِر يُخَلدهُ مَوقعٌ أثريٌ داثِر

المؤرخ
إبـراهيم فاضل الناصري

المدرسة الهمامية بتكريت

صرح حضاري يخلده موقع تـــراثي

المدرسة الـهـمامية

بتكـــريت

صرح حضاري زاهـــر يخلده موقع

تـــــراثي داثر

المؤرخ

ابراهيم فاضـــل الناصـــري

٢٠٢٣م

- اسم الكتاب: المدرسة الهمامية بتكريت
- المؤلف: إبراهيم فاضل الناصـري
- الطبعة الاولى للكتاب :
- الناشر: دار الابداع للنشر والتوزيع في تكريت
رقم الايداع : بدار الكتب والوثائق الوطنية ببغداد
بـ الرقم(٣٦٦٨)لسنة ٢٠١٨ميلادية



صلاح الدين – تكريت – حي الزهور / ٠٧٧١٠٦٥١٩٦٨
/٠٧٧٠٨٣٦١٩٢٦   ٠٧٨٠٦٣٩١٢٤٩
- alabdae2013@gmail.com

- تصميم الغلاف: الفنان احمد الدنيدل

طبعة جديدة معدلة ومزيدة
بغداد ٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى

آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا

وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ

صدق الله العظيم

القصص/١٤



الى مقامات

(الأسلاف من العلماء

الذين وظّفوا حياتهم منابع عطاء

وفاء وجزل وثناء)

ابراهيم الناصري

(لافتة نظر)

يتحمل مؤرخوا الحقب

أمانة تراثية كبيرة الأهمية

تتجسد بتحري آثارها وبحث أخبارها الوثيقة

لإظهار حقائقها الغائبة ولإحياء معالمها

التي كانت شموس ساطعة في نهارات مدنيتها

والتي تباهت بصيتها المحافل في ماضيها الراحل

وعلى هذا الأساس أضع هذا الكراس

(إبراهيم الناصري)



المحتويات

مدخــل

إن المـدارس في تـاريـخ تكريت الرافـل بـالأخبـار انمـا هي من أهم الموضوعات التراثية التي لم تسبك بدراسة وافية ومعمقة.

إذ تدل الاسـتقراءات التاريخية والمعطيات التراثية المترشـحة عن موقع مدينة تكريت التاريخي على حالة الرقي الحضـاري المسـتمر الذي شـهدته، منذ عصر الآشـوريين وحتى عصرنا هذا. ولعل من الصـور التاريخية المعبرة عن تلك المعطيات والاسـتقراءات هي تلك الشواهد العاكسة لظاهرة قيام المدارس في تاريخها الراحل.

إن الهدف من دراسـتي هذه، هو الكشـف عن حالة قيام منشـأة المدرسـة في تكريت الاسـلامية ثم محاولة الكشـف عن هويتها العلمية ليسـتدل عليها ويعرف عنها الجيل الحالي والذين سـوف يأتون بعدهم من أبناء تكريت، ولقد تمكنت بفضـل الله تعالى من العثور على معلومات مهمة وجديدة عن هذه المدرسـة وان اظهر ملامح هويتها وأخبار من عمل فيها أو أقامها أو من عاصرها.

وإن أهمية الدراسـة هي: أنها تتناول جانبا مهملا من تاريـخ مدينة تكريت، فضلا عن أنها تسهم في الكتابة عن تاريـخ التعليم في بلدنا العراق بشـكل عام، وفي بلدتنا تكريت بشـكل خاص، وفي ذات الوقت تستجلي أخبار وآثار وادوار رواد التعليم من سلفنا فيهما.

وأن المعالجة التراثية المسـتخدمة في عملية الانجاز إنما هي (نبش هادف) في بقايا أثر لصرح علمي ذي صـيت، أتوخى فيه تذكرة لنا في حقيقتنا المشرقة التي كان طودها شاخص في عهد كان ثم زال.

وان تسجيلي التاريخي هذا الذي بين ايديكم إنما هو مدوّنة تاريخية موجزة لصرح ديني، علمي وتعليمي قد سجل مؤشرا ثقافيا وفكريا مشرفا في تراث مدينة تكريت الحضاري؛ الثقافي المادي والعلمي.

فارجوا أن أكون بعملي التوثيقي الاستقرائي التراثي هذا قد خدمت تاريخنا المعرفي والعلمي وتراثنا المادي الحضاري المحلي باستظهار واستكشاف ملامح شاخص ثقافي حضاري مهم فيه.

ومسك الكلام هو أن أزجي بشكري وتقديري لكل من أرشدني أو أعانني أو تفاعل معي في انجاز هذه الدراسة التي يشكلها هذا الكتاب من زملاء أعزاء وقبلهم من أساتذة أجلاء يأتي في مقدمتهم الحضرات: الأستاذ الدكتور جابر خليل التكريتي الذي كانت اعماله الاثرية في الموقع أساسا ونبراسا لجهدي هذا فضلا على ملاحظاته التي ازجاها لي من خلال مساجلاتي معه في الهاتف بخصوص الامر. وأيضا العلامة الخططي الأستاذ الدكتور المرحوم عماد عبد السلام رؤوف الذي استنرت بالكثير من طروحاته بهذا الشأن، كذلك زميلي في التوجه الأستاذ المؤرخ عامر حمزة البراك. أيضا نديمي الكتبي الأستاذ باسل علي الناصري.

إبراهيم فاضل الناصري

المدرسة معنى وتاريخ

لعل من نافلة الشروع في هذا المشروع؛ التعريف لمصطلح (المدرسة) بالقول: أن المدرسة إن هي إلا ذلك المظهر العمراني المدني ذو الغايات العقلية الذي ابتكرته ضرورات طلب العلم وإدراك المعرفة والذي فرضته متطلبات ترسيخ الثقافات وتحقيق النهضة والتي قد عاصر امر ابتداعها عهد تفتق ونشوء الحضارة.

وان المدارس (جمع المدرسة) اصطلاحا هي: مواضع نشاط الإدراك والتعلم أي مواضع المذاكرة الجماعية. أو هي الأماكن المنظمة التي يأوي إليها طلاب العلم لنهل المعرفة ونيلها من أهلها المتمكنين وتدر عليهم فيها الأرزاق ويجزل لهم ببعضها العطاء وتتولى التدريس لهم فيها ثلة نابغة، صالحة من العلماء، الأكفاء، المختارين بعناية من الواقفين عليها أو من بناتها وملتزميها من العلماء أو من الامراء أو من التجار أو الدعاة الموسرين من ذوي الاهتمام والعناية بالعلم. كما وإن الدراسة اصطلاحا هي: قراءة العلم ومذاكرته والتفكر فيه، درسه وتبصره وتشريحه وفقه رسالته واستلهام معانيه وهي كذلك التمكن من الأمر المعرفي المراد فهمه ووعيه وفقهه في تدبر وإمعان وتفكر. وان من بين الحضارات الإنسانية التي اولت الاهتمام بمبتكر المدرسة هي الحضارة العربية الإسلامية حيث قد عنت واهتمت بابتداع المدارس التي ارادت بها نشر العقيدة الإسلامية نبراس نهضة دولتها والتي قد تنوعت في مناهجها الدراسية وفي نظمها التعليمية اذ تخصص بعضها في دراسة علوم القرآن وبالأخص الإقراء القرآني وتخصص بعضها في دراسة علوم الحديث النبوي الشريف(علوم السنة) وتخصص بعضها الآخر دراسة الفقه الإسلامي وأفرع شريعته الغراء، حيث ازدهرت الدراسات المعرفية العقلية والنقلية منذ مبتدأ العهد العباسي الثاني او منذ أواسط القرن الخامس الهجري.

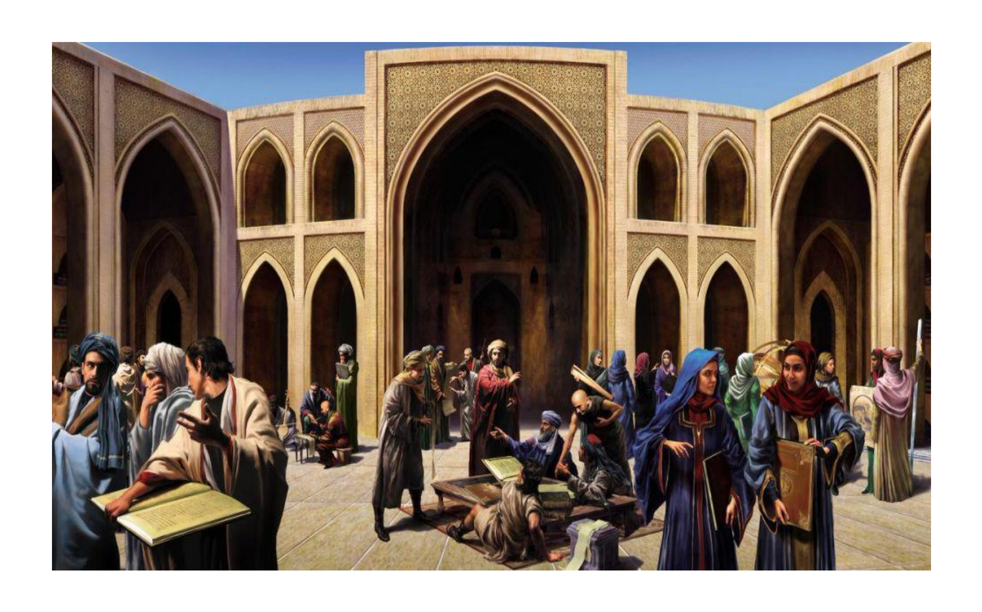
فلقد عنت مؤسسة الرسالة الإسلامية السمحاء بالعلم وبسالكي طرقه من العباد، ونال المعنيون بالتعليم من علماء ومتعلمين المكانة والتقدير الكبيرين، كيف لا والله الرشيد الحكيم قد اقسم بـــ(القلم) ثم كيف لا والله العليم الخبير أول ما انزل قوله تعالى: (اقرأ). ولقد اهتم الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بالتعليم كثيرا، وأن أحاديثه الحكيمة الشريفة في فضل نهل العلم وفي اجر نشره كثيرة، منها قوله: (إنما بعثت معلما) وأيضا قوله:(من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع).

وعلى أساس ما ذكرنا من معاني ومفاهيم، فقد عنى رعاة المسلمون ومنذ عهد صـــدر دولتهم الفتية بالعلم وبالتعلم وأحدثوا لهما أمكنتهما الخاصـــة والملائمة والمكفولة بالرعاية والمســـبوغة بالعناية من قبلهم. ومن المســـلم به ان تاريخ التعليم في العالم الإســـلامي كان قد ابتدأ مشـــواره التنويري والتعليمي بمنشـــآت المســـاجد والجوامع وارتبط ارتباطا وثيقا بها حيث أضحت تلك المســـاجد والجوامع المراكز الأول لنشر الثقافة والمعرفة وكانت أول أمكنة تعلم عرفتها تجربة التعليم في حركة الحضـــارة العربية الإســـلامية وهي في مبتدأ ســـفرها وكان يقاســـمها في تلك المهمة: بيوت العلماء، حيث كانوا يســـتقبلون طلبة العلم او نقلة العلم في بيوتهم أو في دكاكين الوراقين العاملين بنســـق .ومن الجدير بالذكر ان نظام التعليم قد اســـتمر على هذه الصـــورة الإيجابية المنتجة التي ذكرنا قرابة الأربعة قرون ونصـــف القرن لم ينشـــأ خلالها مستحدث المدارس بعد إنما كان اعتماد التعلم على منافذ وروافد تلك المرحلة كـــــ: بيت العالم، وكدكان الناسخ فضلا على زاوية الجامع الســـباقة لهما، والحق يقال إن تلك الروافد التعليمية الأولية انما كانت التأهيلية لمرحلة ظهور (المدارس المســـتقلة) وشـــيوعها في كل البلدان. ثم تطورت دائرة الحال بعد أن آتى الفكر العربي الإسلامي أكله ونضجت ظروف نقلة المعارف مما هيأ لان ترتقي وتنتقل تجربة التعليم إلى المرحلة الأكثر تخصصـــا وتطورا

والتي تعد المرحلة التكميلية التخصـــصـــية ، حيث تجتذب من تأهل في تلك المنافذ من المرحلة الأولية وتسعى للارتقاء بأفهامهم ومداركهم بعلوم ومعارف أكثر تعقيدا وتشـعبا ثم إن هذه المرحلة التكميلية والمختصـــة بالمؤهلين كان قد أوجبها تطور الدراســـة وتشـــعب التعليم وما رفقهما من دواعي لفصـــل أماكن التعليم وعزلها عن بناية المســـجد أو الجامع والارتقاء بها على بيوت العلماء ودكاكين الوراقين وقد مرت هي كذلك بمراحل آخرها هي مرحلة إحداث المدارس التي عدت صروح تعليمية مجدية حيث تحققت في الحقبة ما بين أواسـط القرن الخامس الهجري وما بين نهايته فكرة إحداث المدارس المسـتقلة وغيرها من الأبنية العلمية الخيرية على ارض الواقع التعليمي بعد أن كانت أحلام تراود عقول الخلفاء العباســيين المتقدمين في زمن مبكر من تاريخ انبثاق دولتهم الزاهرة ولهذا كان أوان ابتداع المدرســـة كوحدة تعليمية مسـتقلة مبتكرة قد آن وكانت هيئة المدارس في الجملة لا تختلف عن هيئات المســـاجد وبيوت العلماء ودكاكين الوراقين وزوايا الشـيوخ في ترجمة العلم والتعلم ورسـالتهما السـامية ولكن بشـكل أرقى وســـائل وأكثر ســـعة وابعد مقاصـــد. وهكذا أدرك العلماء وجوبية نشرـــ تجربة (المدارس) في الأنحاء منذ أواســـط القرن الخامس الهجري فناضـــلوا في ســـبيل إقامة العديد من المعاهد العلمية والمدارس التعليمية القائمة بذاتها، مســـتقلة عن أبنية الجوامع وكانت تلك المدارس بازدياد مستمر وفي تطور نوعي حتى تاريخ سـقوط بغداد على يد الغازي هولاكو خان. بضـوء ذلك فان مدن ارض الســـواد الكبرى إبان تلك القرون الخوالي كـــــ واســـط والكوفة والبصرة والموصل واربيل وسـنجار فضلا على العاصـمة بغداد دار السـلام وأيضـا مدينة تكريت التاريخية ميدان بحثنا، قد كانـت قـد عرفـت تجربـة قيـام المـدارس ودور العلم الكبرى والمسـتقلة منذ مبتدأ ابتكارها كمسـتحدث معرفي حضـاري، حيث أخذت هذه المدارس بالقيام والانتشـار والعمل منذ أواسـط القرن

الخامس الهجري. ولقد وثق علميا في تفاصـــيل هذا الأمر الجليل عددا من مؤرخي التراث العربي الاسلامي المحدثين منهم: المرحوم الأســـتاذ الدكتور ناجي معروف بإفراده الإشـــارات الواضـــحة فيه وعنه بعدد من مؤلفاته الفكرية في هذا الخصـــوص وان من أهم إشاراته الدالة، هو قولــــــــــــه:

(ولقـــد رأيـــت بعـــد أن فرغـــت مـــن دراســـة المـــدارس وعلماءهـــا في المشرـــق الإســـلامي أن اذكـــر نبـــذة يســـيرة عـــن مـــدارس العـــراق والجزيـــرة الـــتي لـــم انشرـ عنهـــا ولا عـــن علمائهـــا شـــيئا حـــتى الآن كالـــذي نشرـــته عـــن مـــدارس بغـــداد وواســـط. وكنـــت احســـب أنـــني ســـأقف عـــلى عـــدد كبـــير مـــن المـــدارس وكـــم كـــان اســـتغرابي شـــديدا عنـــدما لـــم اعـــثر إلا عـــلى خـــبر مقتضـــب لمدرســـة واحـــدة فقـــط ومثـــل ذلـــك أقـــول عـــن مدينـــة تكريـــت الـــتي عـــثرت فيهـــا عـــلى مدرســـة واحـــدة أيضـــا...وعلى الـــرغم مـــن طلبـــاتي المتكـــررة إلى زمـــلائي وطـــلابي مـــن أهـــل الكوفـــة وتكريـــت ممـــن أصـــبحوا أســـاتذة أن يفيـــدوني بمعلومـــاتهم عـــن مـــدارس بلدانهم إلا أنني لم اظفر منهم بطائل).



تكريت وظاهرة المدارس

تكريـــت المدينـــة التاريخيـــة، الأزليـــة النشـــأة والحضـــارية الارتقـــاء، الـــتي قامـــت في دور حضـري متقـــدم مـــن تـــاريخ التمـدن في بـلاد الرافـدين ثـم امتـد وجودهـا الحضـري حـتى العهـد الـذي تنشـقت فيـه برحابـة صـدر أريـج الحضـارة العربيـة الإسـلامية، ثـم مـا اكتفـت حـتى عـدت إبـان العهـد العبـاسي حـاضرة عربيـة إسـلامية ذات صـيت جميـل ودور جليـل، (واسـعة الأرجـاء فسـيحة السـاحة، حافلـة بالمسـاجد والأسـواق متنعمـة بـالخيرات والمـبرات) كمـا جـاء عنهـا في بعـض المـوارد الإخباريـة الوثيقـة هي مـع نـزر الأخبـار الـتي وصـلت إلينـا عـن أمكنـة التعلـيم فيهـا كانـت قـد عرفـت وامتلكـت مثـل تلـك ، المسـتحدثات العلميـة والمعرفيـة الحضـارية، الـتي سـميت بـ (المـدارس). وان أبناؤهـا العـاملين في مجـالات المعرفـة والـتعلم سـواء كـانوا مـن المقيمـين فيهـا أو مـن المقيمـين بعيـدا عنهـا طلبـا لغايـاتهم الشخصـية قـد أسـهموا في تأسـيس وإدارة ورعايـة عـددا مـن تلـك المسـتحدثات العلميـة الحضـارية (المـدارس أو دور الحـديث) ورعايتهـا بـالوقف والعنايـة كمـا وأسـهم بعضـهم الآخـر في التـدريس أو الإعـادة أو الإقامـة في بعضـها الآخـر، خاصـة وأن بلـدتهم مدينـة تكريـت الخالـدة كانـت قـد بـرزت منـذ مطلـع القـرن الخـامس الهجـري كمركـز متمـيز مـن مراكـز الحركـة الفكريـة والعلميـة العراقيـة الـتي أبـدعتها حركـة الحضـارة العربيـة الإسـلامية حيـث احتلـت مدينـة تكريـت منزلـة متمـيزة في مضـمار هـذه الحركـة الفاعلـة فكانـت مـن أهـم

وابــرز مراكــز إخــراج رجــال الحــديث والفقــه والإقــراء والأدب والمنطــق ويظهــر ذلــك واضــحا مــن أســماء مشــايخ الفقهــاء والــرواة وأهــل الإقــراء والمحــدثين ممــن تكلمــت عــنهم كتــب الرجــال ، إذ أنجبــت عــددا كبــيرا مــنهم وجــذبت إليهــا عــددا اكــبر مــن مشــايخ العلــم مــن غــير أبناءهــا فكانــت رحمــا وكانــت مهــدا وكانت حضنا ما حتم قيام دور ومدارس علمية في رحابها.

لقــد أينــع العقــل التكــريتي خــلال ســفره الفكــري والمعــرفي والــذي امتــد قرابــة ثلاثــة قــرون آثــارا بنــاءة كــان لهــا الوقــع الفعــال في حركــة الثقافــة الانســانية كــان منهــا المــدارس ودور العلــم. إذ اتضــح لي بنتيجــة تحريــاتي وتتبعــاتي في مختلــف المضــان التاريخيــة أن اغلــب الــذين كتبــوا عــن تــاريخ وتــراث تكريــت لــم يكونــوا قــد اطلعــوا اطلاعــا وافيــا عــلى جــزء مهــم مــن الــتراث العــربي الإســلامي المكتــوب عنهــا واقصــد بــه كتــب ألاخبــار الــتي عــدت مســتودعا معلوماتيــا ثــرا ودقيقــا للكثــير مــن الأخبــار عــن المــدن والبلــدات العربيــة او الإســلامية ومنهــا بلــدة تكريــت وخاصــة عــن اخبــار علماؤهــا ومدارســها وبــالرغم مــن ضــبابية الصــورة المجســدة للمرحلــة المعنيــة ومــن ضــياع العلائــم والــدلائل حــول ذلــك، غــير أن الــنزر اليســير الــذي وصل عنها انما قد اتاح لنا تلمس اثر ومكانة رجال تكريت .

إن الــتراث الخــبري المــوروث فضــلا عــلى الــتراث الثقــافي المــادي قــد أكــد لنــا بالواضــح الجــلي حقيقــة قيــام عــدد مــن هــذه الصرــوح التعليميــة في تكريــت المدينــة التاريخيــة خــلال عصر التمكين الحضاري للامة، وكان منها هذه (المدرسة).

ان مدينة تكريت التي أخرجت فقهاء ومحدثين وقراء غذت بهم الحواضر والأنحاء وكانت متفضلة حضاريا بأن أبناءها فتحوا مدارس هنا وهناك هل كانت تمتلك مدارس ودور علم في داخلها؟ والجواب هو: (نعم) لقد كانت تمتلك مدارس فقه ودور حديث ودور اقراء والدليل يأتي بوجهين:

الوجه الأول: هو ماورد من أخبار تفصح أو تلمح في ذلك فمثلا في ترجمة الفقيه والحافظ القاضي يحيى بن القاسم يجيء القول: (ثم عاد إلى بلده تكريت وتولى بها القضاء والتدريس). وفي ترجمة الفقيه المحدث عبد الله بن سويدة التكريتي المتوفى عام ٥٨٤هـ يجيء الكلام يقول: (سمع ببلده ابا الحسن علي وأبا شاكر الفقير ... وسمع منه خلق من أهل تكريت وممن وردها من البلدان الاخرى). وفي ترجمة الإمام المحدث زكي الدين البرزالي المتوفى في عام ٦٣٦ هجري يجيء الكلام ليقول عنه: (انه رحل إلى تكريت فسمع الحديث من علماءها). وفي ترجمات العلماء: فخر الدين ابن العكبري المتوفى ٥٩٣هـ والشيخ عبد الرحمن بن محمد البخاري المتوفى ٢٨١هـ والحافظ أبو سعد عبد الكريم السمعاني المتوفى ٥٦٢هـ والحافظ ابن الدبيثي المتوفى ٦٣٧هـ ومحمد اللارجاني المتوفى ٦٠٥هـ يرد بأنهم رحلوا إلى تكريت (وفدوا) وسمعوا فيها من علماءها. مما يعني انه كانت في مدينة تكريت أماكن مختصة بالسماع وهي مفتوحة للتداول وللأخذ وللعطاء.

أما الوجه الثاني: وهو الأهم فإنما يجسده الذكر الواضح الجلي لبعض من تلك المدارس التي أنشأت في تكريت في

كتب أخبار الرجال ولعل ذلك قد تم ضمن خضم المد العلمي الذي عرفته المدن العربية الإسلامية إبان عصر إرهاصات اشراقة الامة الحضارية فلقد قام علماء تكريت الفخام وميسوريها من المهتمين بالعلم بإنشاء ورعاية المدارس التي عدت في وقتها ظاهرة حضارية جديدة ومبتكرات علمية محدثة ولقد تم لي التعرف على عددا من تلك المدارس التي قامت في مدينة تكريت التي كانت رحما لولادة خيرة العلماء من الذين أينع قطافهم في حواضر عراقية وعربية وكان من بينها (المدرسة الهمامية).

إن مما ساعد على تحقق كون مدينة تكريت مركز علم ومنصة تعلم هو الوظيفة التي عرفها أهلها واقصد بها وظيفة أو مهنة التجارة إذ كان لهذه الوظيفة الدور المهم في الاتصال الاطلاع والتعرف والتواصل والتأثر والتأثير لما تستند عليه من مسلمة التنقل والاتصال ولعل الذي أهّل هذه الوظيفة لتكون عامل مساعد في بوتقة العطاء الفكري للتكارتة هو الوسيلة التي تعتمدها هذه الوظيفة واقصد فيها وظيفة الرحلة في طلب العلم فالرحلة في طلب العلم انما لها الأثر الكبير في التعرف والاطلاع والتأثر مثلما لها الأثر الكبير في التعريف والتأثير والعطاء والنقل والتطوير.

لقد كان لأبناء تكريت أثر ودور في بناء الحركة العلمية ولكن علينا القول إن الدور المذكور لأبناء تكريت لم يكتفي في النقل والتقويم والنشر بل تعداه إلى الإسهام في البناء والتأسيس والتطوير للمراكز العلمية والتربوية والفكرية التي

تخرج وتؤهل نقلة العلم فلقد جاءت الأخبار في موارد التراث العربي بذكر أسماء لعلماء تكارتة قد كانت لهم أدوار.

وأن الذي ساعد على ذلك الاستقرار وعلى ذلك الأمان اللتان باتت تمتلكهما المنطقة التي قامت فيها بلدة تكريت. فلقد كانت على وصف أحد الجغرافيين: انها منطقة مستقرة يسير الحاج فيها بانتظام آمن مطمئن. كما ومما ساعد هو طبيعة الفرد التكريتي وخصائصه الفردية، إذ انه من النوعية (الطينة) ذات الطبيعة المؤهلة لتحمل المسؤولية والنجاح في مهمة النضح والبذل والعطاء ولعل الذي جعل هذه الشخصية تكون بهكذا طبيعة هي الحاجة الإنسانية التي قد احتوتها طبيعته الاجتماعية والتي جعلت منه رجل أسفار تجارية وطالب رحلة تفكر وتبصر واطلاع.



التعريف بالمدرسة الهمامية

كانت المدارس خلال مزدهر الحضارة العربية الإسلامية تعد بمثابة كليات جامعة أو معاهد عالية بحسب مفهوم الجامعات اليوم لمعارف وعلوم الرسالة الإسلامية كعلم فقه الشريعة الاسلامية وعلوم السنة النبوية وعلوم الحديث النبوي الشريف وعلم الإقراء القرآني.

وبهذا الكتاب سوف يكون الكلام عن واحدة من تلك المنشآت العلمية أو المراكز التعليمية الحضارية التي احتضنتها مدينة تكريت إبان حقبة مهمة من سفر تاريخ الدولة الإسلامية في عصرها العباسي الزاهر.

انه الكلام عن الصرح العلمي التعليمي المهيب أو الطود العمراني الشامخ الوارد ذكره تاريخيا بسمة: (المدرسة الهمامية) والذي هو ثالث صرح علمي تعليمي أقف على خبره في تراث تكريت الثقافي المسطور وعلى أثره في تراث تكريت الثقافي المادي، وعندما أقول (ثالث) فلكون قد سبقته في القيام بتكريت: مدرسة المشهد (واقصد به مشهد الخضر) ودار الحديث الفتوحية (نسبة إلى بانيها وراعيها الفقيه والقاضي ايحيى بن أبو الفتوح التكريتي).

وانه التصريح الثقافي عن المنجز التراثي الذي وقفت عليه بعد أن عمي موقعه عن نظر جميع الباحثين والمختصين في مجالات التاريخ والآثار والتراث لبلدة تكريت العتيقة.

إن المدرسة الهمامية موضوعة هذا الكتاب: هي من مفاخر الحضارة العربية الإسلامية وهي في أوج ألقها. ولقد قامت في مدينة تكريت العتيقة خلال عهد تشمخها كحاضرة عربية إسلامية تضوع بالحيوية والعطاء. وهي في رسالتها العلمية السامية عدت من المدارس الدينية العليا المجانية التي تعتمد المذهب الشافعي في دراسة الفقه وعلوم الحديث والإقراء ولقد جاءت تسميتها هذه نسبة إلى اسم منشئها وراعيها الأمير همام الدين تبر بن علي بن شعيب.

وان المدرسة الهمامية التي هي موضوعة كتابي هذا اننما هي من بين أهم مدارس الحضارة العربية الإسلامية. حيث أنها قامت وأدت عطاؤها العقلي والنقلي في عصرها الحضاري المشرق (العصر العباسي) وتحديدا في حقبة نهوض وإبداع مهمة منه، وهي الحقبة (الاتابكية) والتي انما تعد من أهم مراحل العهد السلجوقي في المشرق الإسلامي.

وقد كانت المدرسة الهمامية هذه بحق من بين جملة المنشآت العلمية والتعليمية التي احتضنتها تكريت والتي اسهمت في اعداد واخراج ثلل من العلماء والعالمات الذين حملوا لقب التكريتي والذين صارت تباهى بهم في الافاق.



زمان وجود المدرسة

الزمـــان هـــو في أصـــله، الوقـــت المـــلازم للحـــدث أو الفعـــل بحســـاب الأيـــام أو الســـنين، وذلـــك أنّ الحـــدث، لا بـــدّ لـــه أن يجـــري في دائـــرة الوقـــت، ولا فعـــل ولا حـــدث يتحقّـــق خـــارج هـــذا النطـــاق. وبضـــوء ذلـــك فلقـــد كـــان للمدرســـة الهماميـــة في تكريـــت زمـــان وجـــود ضـــمن العصرـ الاشـــمل الـــذي تنـــتمي لـــه وأعني به عصر الحضارة الإسلامية الزاهرة، العهد العباسي.

فلقـــد زامنـــت هـــذه المنشـــأة التعليميـــة الدينيـــة المبتدعـــة بـــ عمرهـــا العلـــمي التعلـــيمي، عهـــود ثلاثـــة مـــن خلفـــاء الدولـــة العباســـية في عهـــدها الحضـــاري الثـــاني، كمـــا وعـــاصرت قيـــام الدولـــة الأيوبيـــة في مصرـ والشـــام في عـــام ٥٦٤هجـــري، وكـــذلك عـــاصرت عهـــد الكفـــاح الإســـلامي ضـــد حمـــلات الفرنجـــة الأوربيـــين، فضـــلا عـــلى مزامنـــة عهـــدها لحـــدوث معركـــة حطـــين الفاصلة ضد الغزاة الصليبيين من الفرنجة والاوربيين.

إن زمـــان قيـــام هـــذه المدرســـة العاليـــة بحســـاب التقـــويم الزمـــاني انمـــا هـــو بالتحديـــد في النصـــف الثـــاني مـــن القـــرن الســـادس الهجـــري / الموافـــق للنصـــف الثـــاني للقـــرن الثـــاني عشرـــ المـــيلادي، وتحديـــدا مـــن ســـنة ٥٦٣هـ الى مـــا بعـــد ســـنة ٥٨٤هـ. وهـــو زمـــن حافـــل بالإبـــداعات ومغـــدق بالإنجـــازات مثلما هو زمن زاهر بالمدارس ومعاهد العلم ودور العلم.

منشئ المدرسة

كانـت تكريـت قبـل سـنة ٥٦٣هـجرية إقطاعـا تابعـا للاتابـك الـزنكي زيـن الـدين عـلي الملقـب بـ (كجـك) صـاحب الموصـل ووالـد الملـك مظفـر الـدين كـوك بـوري، زوج اخـت السـلطان صـلاح الـدين الايـوبي، بيـد انـه في هـذه السـنة حصـل انـه زيـن الـدين عـلي كـان قـد تنـازل عـن حكـم الموصـل وتوابعهـا ومنهـا بلـدة تكريـت لقطـب الـدين مـودود بـن عمـاد الـدين زنـكي الأمـر الـذي جعلـه يسـلم تكريـت بصـفتها احـدى توابـع الموصـل لأحـد نوابـه عليهـا والـذي كـان قبلهـا يتـولى قلعتهـا لـه أي ينـوب عنـه فيهـا، ويـدعى الأمـير همـام الـدين تـبر بـن عـلي بـن شـعيب التكـريتي الـذي آلـت مدينـة تكريـت لـه وفـق هـذا إقطاعـا اتابكيا ينتمي لسلطان البيت الزنكي في شمال وشرق الدولة.

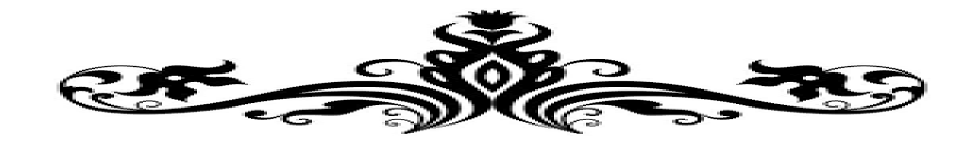
فكان الأمـير همـام الـدين تـبر بـن عـلي بـن شـعيب التكـريتي هـذا في أول أمـره مملوكـا تابعـا للأمـير زيـن الـدين كجـك وسـيفا مـن سـيوفه غـير إن زيـن الـدين كـان قـد قدمـه في دولتـه وأسـس لـه مكانــة عاليــة إذ جعلــه في بدايــة الأمــر متوليــا عنــه لقلعــة العماديــة الخاضــعة لــه ثــم حولــه إلى بلــدة تكريــت ليتــولى قلعتهـا بالنيابـة عنـه. ثـم واتـت الفـرص وحالفـت الحظـوظ الأمـير (همـام الـدين تـبر) بـان يسـتحوذ عـلى كـل تكريـت ولـيس فقـط عـلى قلعتهـا بعـدما تـرك زيـن الـدين مملكتـه بتوابعهـا متنازلا عنها للامير قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي.

وهكــذا قــدر للأمــير همــام الــدين تــبر التكــريتي لان يكــون صـاحب تكريـت ومتـولي أمرهـا مـدة أربعـة عشرـ سـنة أي منـذ

٥٦٣ ولغاية ٥٧٧هجرية حيث انه توفى في العاشر من ذي الحجة من سنة ٥٧هـ وهو في المزدلفة بمكة أثناء تأديته لفريضة الحج، فدفن بالمعلى وهي مقبرة في مكة. والأمير الجليل القدر والعتيد الامر همام الدين تبر (طبر) هذا هو بالأصل سلجوقي الأرومة لكنه من مواليد مدينة حمص الشام واسمه الكامل هو همام الدين تبر أو طبر بن علي بن عبد الملك بن شعيب التكريتي الحمصي.

لقد كانت من أشرف وأهم الانجازات الحضارية التي سطّرها الامير همام الدين تبر التكريتي في بلدة تكريت بعد تسنمه حكمها كبلدة وحكم قلعتها في العام ٥٦٣هجري هي إنشائه ورعايته لمدرسة دينية حملت اسمه (المدرسة الهمامية).

وبعد وفاة الأمير همام الدين تولى حكم بلدة تكريت ابن أخوه وزوج ابنته المدعو فخر الدين أبو المكارم عيسى بن مودود بن علي وهو الذي كان قد استخلفه على الحكم لما ذهب للحج فمات باثناءه. اذ اهتم الأمير أبو المكارم فخر الدين عيسى في هذه المدرسة وبقي يرعاها ويعنى بأمورها منذ توليه حكم بلدة تكريت وقلعتها في السنة٥٧٧هجرية وحتى السنة٥٨٤ هجرية حيث كانت وفاته غدرا، ولقد قدر له أن يكون مدفنه في غرفة بها، تأخذ ركنها الجنوبي الغربي.



شيوخ المدرسة

صراحـة لـم يـرد او يـاتي ذكـر لأي مـن أسـماء شـيوخ هـذه المدرسـة التكريتيـة بشـكل واضـح وجـلي في كتـاب معـين مـا من كتب التراث التي تطرقت او اشارت الى ذكر ها الا إنه:

اولا. المـتمعن في تـراجم رجـال اسرة آل مـودود الـتي عميـدها الأمـير همـام الـدين، مؤسـس هـذه المدرسـة، سـيظهر لـه أنهـم قـد تتلمـذوا واخـذوا وقرئـوا العلـم جميعـا عـلى يـد القـاضي الشـيخ تـاج الـدين يحـيى بـن القاسـم التكـريتي، فقـد نقـل ابـن الفـوطي في كتابـه تلخـيص مجمـع الآداب في معجـم الالقـاب عـن كتـاب الاختصـاص في التـاريخ الخـاص لتـاج الـدين يحـيى كيـف إن فخـر الـدين عيسىـ بـن مـودود ابـن أخ همـام الـدين وزوج ابنتـه ونائبـه ثـم خليفتـه في حكـم قلعـة تكريـت وولايـة تكريـت قـد قـرأ عـلى القـاضي الشـيخ تـاج الـدين يحـيى بـن القاسـم وكـذلك كـان حـال الأخ اليـاس بـن مـودود الـذي تـولى حكـم تكريـت بعـد أخيـه فخـر الـدين عيسىـ أبـو المكـارم، الأمـر الـذي يعـني أن قـراءاتهم تلـك الـتي تمـت عـلى يـد الشـيخ تـاج الـدين يحـيى لا تعـدوا ان تكـون قـد جـرت في المدرسـة الهماميـة الـتي هي مدرسـتهم الـتي ورثـوا وقفهـا عـن عمهـم همـام الـدين وهـذا سيشـير ويـرجح ان تكـون المدرسـة الهماميـة قـد ولي التـدريس فيهـا هـو القـاضي الشـيخ تـاج الـدين يحـيى إبـان وجودهـا في ظـل المـذكورين وخـلال وجـود القـاضي بتكريـت وفي حياتـه وانـه لـن يعـدوا إلا أن يكـون متـولي النظـر فيهـا وكبـير شـيوخها خاصـة وان الأخبـار عنـه قـد بينـت كيـف

كونه قد عاد إلى بلده تكريت بعد رحلة تزود بالعلم، وتولى بهاء القضاء والتدريس مدة. ولقد تزامن هذا مع حقبة وجود المدرسة ومع زمان تلقي نائب مؤسسها وخليفته للعلم على يديه ثم إن الأخبار التي ذكرتها المصادر عن الذي تولوا الحكم بعد فخر الدين تنبئ بان المدرسة قد استمرت في وظيفتها العلمية، وان الشيخ تاج الدين لم يزل على التدريس فيها وتولي مشيختها مدة بقاءه في تكريت يعاونه ثلة من المشايخ من أبناء أسرته العلمية الصيت.

ثانيا. المتفحص لتراجم وسير علماء تكريت ومشايخها من الذين انتدبوا أو الذين تصدوا للتدريس في مدارس زمانهم هنا او هناك والذين كانوا عاصروا نشاط هذه المدرسة التعليمي وعطاؤها العلمي في تكريت أو كان قد وافق وجودهم في بلدتهم تكريت والمدرسة كانت تؤدي رسالتها العلمية التعليمية سيؤشر بعض الأسماء كونها بلا شك قد تولت التدريس او الإعادة في هذه المدرسة ولعل منهم:

١.الشيخ الفقيه والقاضي علم الدين أبو النجيب عبد الرحمن بن احمد بن المفرج، الذي كان قد انتدب للتدريس في مدرسة في ماردين ثم ما فتئ في آخر عمره المزامن لقيام المدرسة ان عاد إلى بلدته تكريت وتولى فيها القضاء والتدريس معا. بمعنى انه كان قاضي تكريت إبان وجود هذه المدرسة مما يشير او يدلل وبما لا يقبل الشك على انه قد كان أحد شيوخ هذه المدرسة او كان واحدا من علماءها.

٢.الشـيخ المجـد والعـالم المجتهـد جمـال الـدين احمـد بـن المفـرج بـن درع التكـريتي: وهـو عـم القـاضي تـاج الـدين ابي زكريـا يحـيى بـن القاسـم. والـذي ولـد في تكريـت في سـنة ٤٨٨هـ، وعنـدما كـبر سـمع مـن أبي شـاكر محمـد بـن سـعد بـن خلـف التكـريتي. ثـم قـدم إلى بغـداد فأقـام في ربـاط الـزوزني فسـمع واسـمع. ثـم عـاد إلى بلدتـه تكريـت وحـدّث فيهـا، ثـم كانت وفاته فيها في ليلة عيد الفطر من سنة ٥٨٣هجرية.

٣.الشـيخ الفقيـه شـهاب الـدين عمـر بـن القاسـم بـن المفـرج التكـريتي خطيـب تكريـت وقاضـيها وهـو أخـو القـاضي تـاج الـدين يحـيى بـن القاسـم. تـولى الخطابـة في مسـجد تكريـت وأقـرأ القـرآن فيـه. قـرأ عليـه ابنـه عبـد الله وآخـرين. ولـه منظومـة في العقيـدة. قـال عنـه الـذهبي انـه: إمـام مفـت، حسـن النظـر. ذكـر في قلائـد الجمـان وورد عنـه انـه كانـت وفاته في سنة ٢٢هجرية عن اثنين وثمانين سنة من العمر.

٤. الشـيخ الفقيـه والاديـب الوجيـه عمـر بـن عبـد الله بـن المفـرج الـربعي التكـريتي، الـذي جـاءت الاخبـار تفصـح عنـه بانـه بعـد عودتـه مـن مـاردين الى بلدتـه قـد اضـحى يلـقي الـدروس في الفقـه وفي علـم الحـديث كمـا وصـار يسـمع عليـه العلم جمهور الوافدين الى بلدة تكريت من علماء الانحاء.



عهد قيام المدرسة

كـان العهـد الـذي تنـتمي إليـه هـذه المدرسـة هـو العهـد السـلجوقي بـدون شـك والـذي هـو نسـبة إلى السـلاجقة الـذين هـم فـرع مـن قبائـل الغـز التركيـة، وكـانوا قـد انسـابوا حـوالي عـام٣٤٥هجـري مـن سـهول تركسـتان نحـو الأرجـاء الشرـقية للدولـة الإسـلامية واعتنقـوا الإسـلام بقـوة ثـم نفلـوا في خدمتـه وتمكينـه والـذود عنـه في تلـك الأرجـاء ولقـد سـموا بالسـلاجقة نسـبة إلى جـدهم الأعـلى سـلجوق شـاه. وقـد نجحـوا في إقامـة نفـوذ سـياسي وعسـكري خـاص بعهـم ضـمن الإقلـيم الجغـرافي الـذي حـواهم سرعـان مـا مكـنهم مـن الـتحكم في مقـدرات أطـراف مهمـة مـن حيـاض الدولـة الإسـلامية كـان منهـا العـراق الـذي أصـبح تحـت حكمهـم ونفـوذهم منـذ منتصـف القـرن الخـامس الهجـري ثـم مـا فـتئ إن صـار في السـنة ٥١٣ هجريـة كيانـا سـلجوقيا خالصـا أقـاموا فيـه دولـتهم الـتي عكسـت طـابعهم وحملـت اسـمهم (الدولـة السـلجوقية في العـراق) وهي بمثابـة دولـة صـغيرة حاكمـة داخـل الدولـة الأكـبر والـتي هي الدولة العربية الإسلامية التي تكشل العهد العباسي.

ومـن مظـاهر الحكـم السـلجوقي في الشرـق الإسـلامي عامـة وفي العـراق والشـام خاصـة إبـان العصرـ العبـاسي الثـاني، ظهـور نظـام الاتابكيـة الـتي هي إمـارة نفـوذ يقطعهـا السـلطان السـلجوقي لأحـد خواصـه المقـربين لـه او مـن القـادة والامـراء ممـن يتقلـدون المناصـب العليـا. والنظـام الاتـابكي هـو في حقيقـة الأمـر نتيجـة حتميـة للسياسـة الـتي اتبعهـا السـلاجقة

في النظـام الإقطـاعي والـذي هـو الأسـاس الـذي قامـت عليـه (الملكيــة) في عهــدهم ولقــد انتشرــت هــذه الاتابكيــات (الإقطاعيات) في المشرق الإسلامي منذ سنة ٤٨٥هجرية.

وان مـن أشـهر الاتابكيـات هي اتابكيـة الموصـل الـتي كـان لهـا الأثـر الفاعـل والكبـير في مناهضـة الصـليبيين ومؤسـس هـذه الاتابكيـة هـو الامـير عمـاد الـدين زنـكي اقسـنقر وهـو في الأصـل مــن المماليــك الأتــراك تــربى برعايــة الســلطان الســلجوقي ملكشــاه ثـم عنـدما بلـغ أثـره وعظـم دوره قربـه إليـه وقلـده السـلطان المناصـب الرفيعـة ثـم اقطعـه مـدن حلـب واللاذقيـة وحمــاه ومنــبج إضــافة إلى تكريــت الــتي ضــمها إلى ممتلكاتــه بعـد وفـاة السـلطان ملكشـاه ثـم انـه في سـنة ٥٤٤هجريـة قـام زيــن الــدين بــن بكتكــين وهــو احــد قــواد الأتــراك المــؤتمرين تحـت إمـرة الاتابـك عمـاد الـدين زنـكي بإعـادة ضـم تكريـت وعــدد مــن المــدن الاخــرى كســنجار واربيــل إلى نفــوذه في اتابكيـة الموصـل الـتي تولاهـا في العـام ٥٣٩هجـري نيابـة عـن الأمـير الغـازي عمـاد الـدين زنـكي، ولقـد جـاء ذلـك الضـم مـن الأمـير زيـن الـدين عـلي بأعقـاب مقتـل الأتابـك عمـاد الـدين زنكي وقيام شحنة بغداد بسلخها عن اتابكية الموصل.

كانــت بلــدة تكريــت إبــان العهــد الســلجوقي إقطاعــا إداريــا واقتصـاديا مهمـا وغنيـا يتنقـل في التبعيـة بـين امـراء السـلاجقة في العـراق فمـرة تـؤول لهـذا ومـرة تـؤول لـذاك. ولقـد كانـت عـلى هكـذا حـال ابتـداء مـن عـام ٤٨٥هجـري حينمـا ضـمها الاتابـك اقســنقر مملــوك الســلطان الســلجوقي ملكشــاه إلى أملاكــه.

وقـد كـان ذلـك الحـال بعـد وفـاة السـلطان ملكشـاه وتنـازع أولاده على ملك الاقطاعات من بعده ومنها اقطاع تكريت.

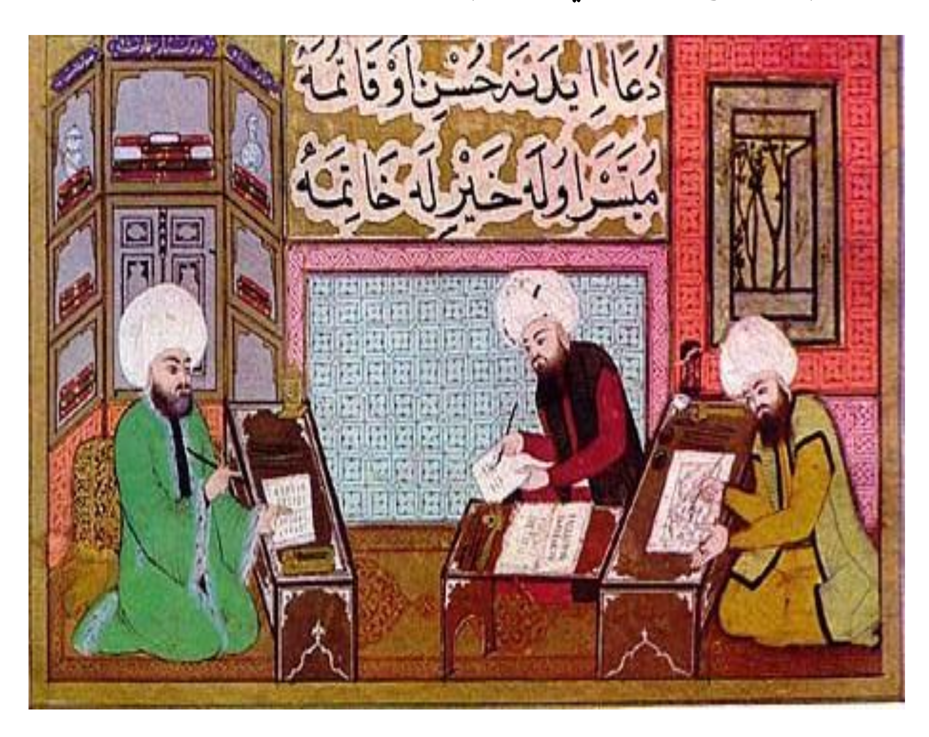
ولقــد كانــت للســلاطين الســلاجقة ووزرائهــم عنايــة كبــيرة واهتمـام بـادع بـالعلم وبنشره ولقـد شـاع ذلـك عـنهم بشـكل ملفــت للنظــر فرعــوا وعنــوا في دور العلــم ومراكــز المعرفــة والفكـر وافـردوا لهـا العطايـا وقـدروا وقربـوا الشـيوخ العلمـاء وأسبغوا لهم كل الاهتمام ومنحوهم المكانة اللائقة بهم.

وهكـذا صـار ت لدولـة لسـلاجقة شـواخص حضريـة ومعـالم عمرانيـة علميـة حضـارية في المـدن والحـواضر الـتي حكموهـا او الـتي باتـت خاضـعة لنفـوذهم ومنهـا المـدن العراقيـة، قـام بتشـييدها ورعايتهـا سـلاطينهم ووزرائهـم وامـرائهم. ولعـل مـن ابـرز هـذه الشـواخص والمعـالم هي المـدارس والـربط ودور العلـم، إذ أنهـم قـاموا بمجهـودات متواصـلة لـترويج العلـوم والمعـارف ونشر الثقافـة الدينيـة والمدنيـة بواسـطتها ومـن الجـدير بـذكره ان هـذه الأعمـال كانـت الأس المـادي لبدايـة عصر المدرسـة وان مـن أهـم الأسـباب الـتي دعـت السـلاجقة إلى تأســيس المــدارس ودور الــتعلم هي حاجــة الدولــة إلى القضـاة والكتـاب والعمـال فضـلا إلى حاجـة المجتمـع الإسـلامي إلى توحيـد للمعتقـد فلـيس هنـاك مـن شـك انـه لا طريـق اضـمن لتحقيـق الغايـة مـع ضـمان توحيـد المعتقـد والنهج الإسلامي غير إنشاء المدارس والمراكز الفكرية.

وهكـذا تتبـارى عقـول وسـواعد الامـراء والـوزراء السـلاجقة كنظـام الملـك الـذي يعـد أول مـن أسـس المـدارس في العـراق

السلجوقي في إنشاء ورعاية المدارس ومراكز التعلم ومنابر الفكر التي تحقق الغايات المرجوة من مشروعهم العقيدي.

ولقد كانت من بين المدن التي عرفت قيام مبتكر المدارس هي مدينة تكريت الجزرية التي كانت تعد في وقتها تعد (دز دارية) أي (مستحفظة) خاضعة لاتابكية سلجوقية يحكم قلعتها دزدار أي مستحفظ تابع لاتابك الموصل. وكانت ذات صيت وأهمية حيث نشأت فيها مدارس في هذا العهد المعطاء منها (المدرسة الهمامية) التي أكد قيامها بتكريت في منتصف القرن السادس الهجري المؤرخ كمال الدين ابن الفوطي ت ٧٢٣هـ. عندما أشار عليها صراحة في مصنفه الضخم (مجمع الاداب في معجم الألقاب).



الحكام رعاة المدرسة

تعــد المدرســة الهماميــة موضــوع كتابنــا هــذا مــن المــدارس العلميــة (العموميــة) الــتي قامــت في بلــد تكريــت الحــاضرة العربيــة والإســلامية الشــهيرة وذات الأهميــة، بمعــنى أنهــا لــم تكـن مـن المـدارس الخاصـة بعـالم معـين أو علـم معـين حيث ان الــذين قــاموا ببنائهــا والــذين بــاتوا يتكفلونهــا بالرعايــة والوقــف هــم امــراء تكريــت ومســتحفظي قلعتهــا في الثلــث الأخير من القرن السادس الهجري على التوالي وهم:

__الأمـير همـام الـدين التكـريتي__: تـبر بـن عـلي بـن عبـد الملـك بـن شـعيب الحمـوي التكـريتي. بـاني المدرسـة ومؤسسـها وواقـف الوقــوف عليهــا وراعيهــا وهــو مــن أتــراك الشــام مــن أهــل حمـص. وكـان أول أمـره مملوكـا للسـلطان زيـن الـدين عـلي بـن بكتكـين المعـروف بـ كجـك فلمـا رأى منـه همـة عاليـة ولاه قلعـة العماديـة نائبـا لـه عليهـا ثـم نقلـه الى بلـدة تكريـت نائبـا لـه عليهـا ودزدارا لـ قلعتهـا أي مسـتحفظ. فلمـا كـبر زيـن الـدين هـذا وأراد الاعـتزال والانتقـال إلى اربـل للتعبـد سـلم الـبلاد الـتي كانــت في عهدتــه إلى الاتابــك قطــب الــدين مــودود بــن زنــكي صـاحب الموصـل. وكانـت بلـدة تكريـت مـن ضـمنها فتحـول ولاء الأمــير همــام الــدين لــلاسرة الزنكيــة منــذ ذلــك الحــدث ولقـد ترتـب عليـه أن يكـون نائبـا لهـم عـلى تكريـت وحاكمـا لقلعتهــا ولــم يــزل بتكريــت إلى أن تــوفي في عــاشر مــن ذي الحجــة ســنة ٥٧٧ هجريــة وهــو بالمزدلفــة حيــث كــان قــد

رحـل الى الـديار المقدسـة لأداء فريضـة الحـج مسـتخلفا عـلى حكم تكريت ابن أخيه وزوج ابنته الامير فخر الدين عيسى.

__الأمـير فخـر الـدين أبـو المكـارم__: أبـو المنصـور عيسىـ بـن مـودود بـن عـلي بـن عبـد الملـك بـن شـعيب، ابـن أخ مؤسـس المدرسـة، الامـير همـام الـدين تـبر بـن عـلي بـن عبـد الملـك بـن شـعيب التكـريتي. ولـد في حمـاة الشـام ومـات في تكريـت العـراق ، قـال عنـه ابـن الفـوطي في تلخـيص مجمـع الآداب: (ذكـره القـاضي تـاج الـدين يحـيى بـن القاسـم التكـريتي في تاريخـه في ذكـر مـن قـرأ عليـه وذكـر ولـده شـمس الـدين خاصـبك)، ثـم أردف بـالقول عنـه : (وكـان عمـه همـام الـدين تـبر بـن عـلي أمـير تكريـت لمـا عـزم عـلى الحـج وقـد ولاه أمرهـا سـنة سـت وسـبعين وخمسـمائة فسـار في الرعيـة السـيرة المرضـية وكـان كريمـا سـمحا لـم يـدخر لنفسـه شـيئا سـوى الثنـاء والـذكر الجميـل وقـد نظـم ارجـوزة في الاعتقـاد، ولـه أشـعار ولـم يـزل عـلى ولايتـه إلى أن تـوفى في ذي القعـدة سـنة أربـع وثمـانين وخمسـمائة ودفـن بالمدرسـة الهماميـة). وجـاء عنـه في كتـاب وفيـات الأعيـان لابـن خلكـان: (أبـو المنصـور عيسىـ بـن مـودود.. فخـر الـدين صـاحب تكريـت هـو مـن ... الشـام وكانـت فيـه فضـائل ولـه ديـوان شـعر ورسـائل ودوبيـت... ولـه في الـنظم والنـثر شيء كثـير ولطيـف... ومولـده في مدينـة حمـاة، قتلـه إخوتـه سـنة أربـع وثمـانين وخمسـمائة في قلعـة تكريـت). وأمـا عـن ظـروف مجيئـه إلى تكريـت وتوليـه الحكـم، فقـد ذكـر بانـه جـاء هـو وإخوتـه مـع عمهـم همـام الـدين إلى تكريـت ولـم يكـن لهمـام الـدين ولـدا يتـولى العمـل معـه أو

يخلفه سوى بنت فتزوجها فخر الدين عيسى وكان ينوب عنه في حكمه وفي عمله. ولما عزم همام الدين على الحج ولاه أمر تكريت ومصالحها ومن القلعة سنة ٥٧٦هـ، حتى إذا توفى همام الدين في السنة ٥٧٧هـ وهو يحج، ملك لامير فخر الدين عيسى تكريت ومصالحها ومنها المدرسة الهمامية من بعده... ولقد توفى في قلعة تكريت في سنة ٥٨٤هـ ثم نقل رفاته ودفن في المدرسة الهمامية فيها.

__الأمير المنصور التكريتي__: الامير شمس الدين خاصبك ابن الأمير فخر الدين عيسى، الذي قال عنه ابن الفوطي في كتاب تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب: (أن القاضي تاج الدين يحيى التكريتي قد ذكره في تاريخه بصفته ممن قرءوا عليه). الأمر الذي يعني انه قد كان من الامراء العلماء الذين لم تصلنا أخبارهم العلمية أو تواريخهم بدقة. غير أنني ومن خلال استقراء الخارطة الأثرية لتكريت يمكن لي أن أعيّن التربة التي تعلوها تلك القبة المحاذية لتل محيسن والتي تتسمى بقبة (سيد منصور) بأن تكون هي مدفنه كونها على مقربة من مدفن والده الامير فخر الدين عيسى بن مودود الذي ورد عنه بانه دفن في الهمامية.

__الأمير علاء الدين أبو المظفر__: واسمه الياس بن مودود بن علي بن عبد الملك بن شعيب التكريتي، قرأ على الشيخ تاج الدين يحيى. تسلم تكريت وملك قلعتها بعد مقتل حاكمها فخر الدين عيسى الذي هو أخوه لكنه لم يستمر في حكمها إذ انه قام بتسليم تكريت إلى الخليفة العباسي الإمام الناصر لدين الله في شوال سنة ٥٨٥هـ ثم اعطي عوضا عنها

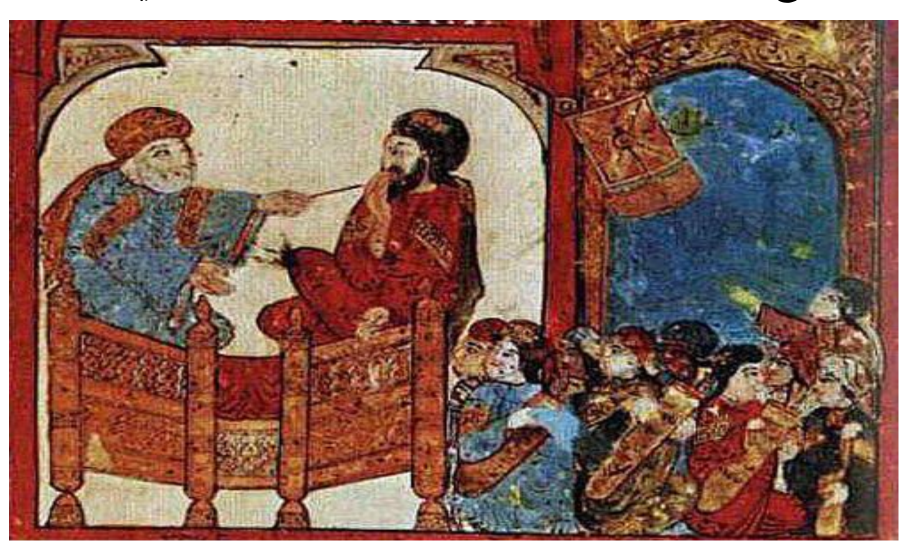
إقطاعـا في بغـداد مدينـة السـلام ورحـل إليـه جـاء ذكـره اسـتطرادا في وفيـات الأعيـان لابـن خلكـان في ترجمـة أخيـه الأمـير فخـر الـدين عيسىـ بـن مـودود إذ جـاء القـول: (وكـان لـه أخ اسـمه اليـاس وهـو الـذي سـلم تكريـت إلى الإمـام النـاصر لـدين الله في شـوال سـنة خمـس وثمـانين وخمسـمائة) كمـا وقـد جـاء عنـه في كتـاب تلخـيص مجمـع الآداب في معجـم الالقـاب مـا نصـه: (ذكـره شـيخنا تـاج الـدين في كتـاب الـروض النـاظر في أخبـار الإمـام النـاصر وقـال : هـو اخـو عيسىـ صاحب تكريت وكانوا عدة إخوة .. ولقد كان كاتبا بليغا).

__الأمـير كنينـو__: معـين الـدين أبـو المظفـر، واسـمه الكامـل هـو: أرنقـش بـن عبـد الله، ويعـرف بـ كنينـو، متـولي تكريـت. قـال عنـه ابـن الفـوطي في تاريخـه: (ذكـره القـاضي تـاج الـدين يحـيى التكـريتي في تاريخـه بصـفته ممـن قـرأ عليـه مـن الحكـام ووصـفه قـائلا: ولي أمـر تكريـت في يـوم الثلاثـاء ثـامن عشرـ شـوال سـنة خمـس وثمـانين وخمسـمائة، وكـان خـيّرا، خفيـف الوطـأة حسـن الأخـلاق، محببـا إلى الرعيـة، ولـم يـزل حاكمـا بهـا إلى ان تـوفى بيـوم السـبت سـادس شـوال سـنة ثمـان وثمـانين وخمسمائة، ودفن في القلعة ثم نقل إلى مشهد الكف).

__الأمـير ريحـان الـزانكي__: هـو الأمـير ريحـان الـزانكي اللقـب، الـتركي الاصـل، والـذي ولي أمـر تكريـت بعـد معـين الـدين ارنقـش في السـنة ٥٨٨ هـ. ذكـره ابـن الفـوطي ضـمن ترجمـة كنينـو في كتـاب تلخـيص مجمـع الآداب في معجـم الالقـاب مشـيرا إلى ان القـاضي تـاج الـدين يحـيى التكـريتي قـد ذكـره في تاريخـه

الخاص بصفته ممن قرأ عليه من الحكام والامراء ونقل عنه انه قال: (ولي.. أمر تكريت ريحان الزانكي ولم تطل أيامه..).

__الأمير أبو منصور الناصري__: واسمه أق سنقر بن عبد الله التركي، وكنيته فلك الدين ويعرف بفلك الدين الناصري الامير، تولى بلدة تكريت وحكم قلعتها. قال عنه ابن الفوطي في مجمع الآداب: (ذكره شيخنا تاج الدين يحيى التكريتي في تاريخه بصفته ممن قرأ عليه من الحكام)؛ وقال عنه ايضا (تولى الأمير آق سنقر فلك الدين الناصري بلدات دقوقا وتكريت دقوقا وبين النهرين ، وصعد قلعة تكريت في سابع عشر شوال سنة اثنين وتسعين وخمسمائة واستمال قلوب الرعية واستناب قتل غابه خطلبة ابن ساوتكين ثم عزله واستناب نور الدين الجوازي، وكان أميرا عادلا. ولقد توفى الله الامير أق سنقر فلك الدين في الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة ست وتسعين وخمسمائة هجرية.



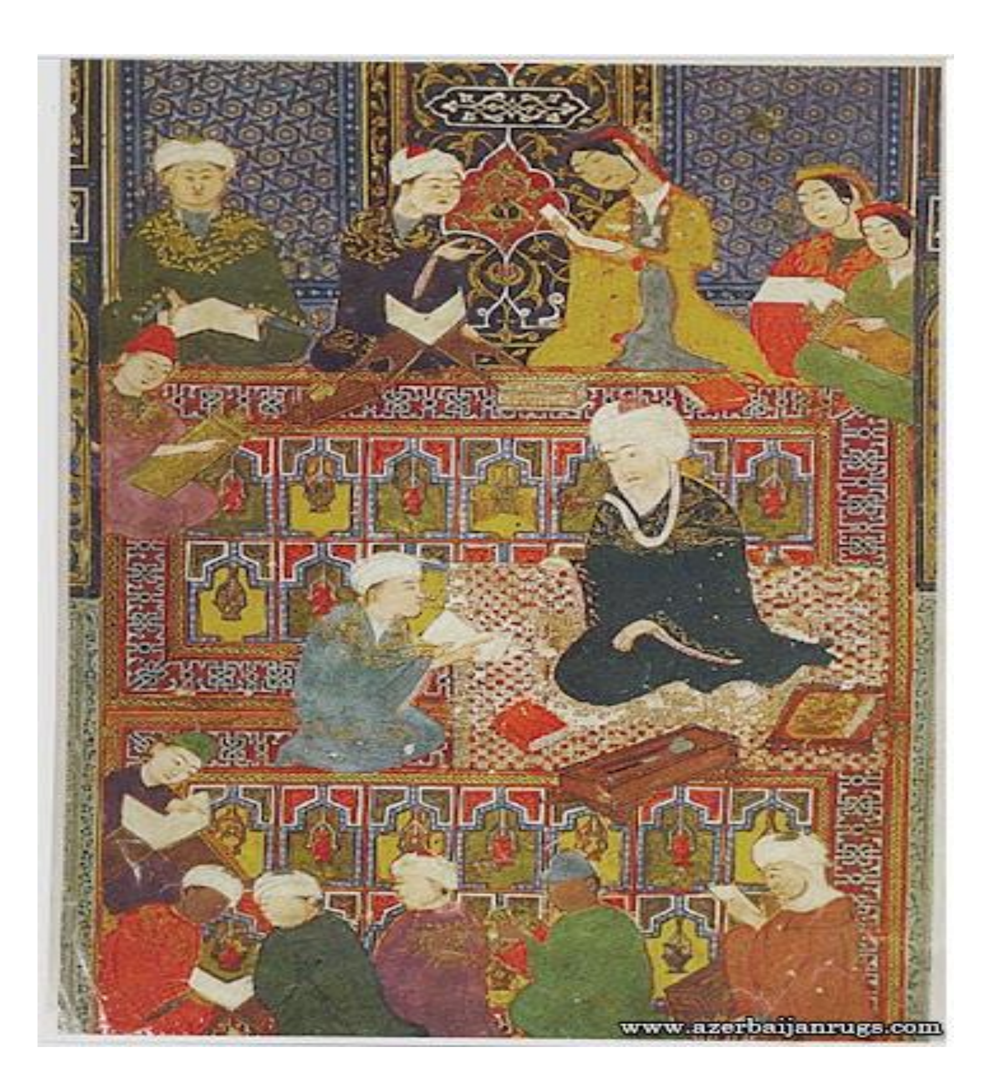
الخلفاء المعاصرون

لقد عاصر قيام مبتكر المدارس وازدهارها بشكل عام في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية عهود الخلفاء العباسيين الأواخر أي منذ مطلع الشوط الثاني لعصرهم الناهض والزاهر وبخصوص المدرسة الهمامية فمن خلال متابعة أخبار هذه المدرسة في موارد التاريخ، يمكن التعرف على أسماء الخلفاء العباسيين من المعاصرين لقيامها ووجودها كمنشأة تعليمية وصرح علمي قام في بلدة تكريت حيث ان:

١. هذه المدرسة التكريتية كانت قد بنيت في أواخر سني خلافة الإمام المستنجد بالله، أبو المظفر يوسف بن محمد المقتفي لأمر الله العباسي، الذي ولد في سنة ٥١٨هـ، (١١٢٤ – ١١٧٠م) والذي توفى في ثمان ربيع الآخر سنة ٥٦٦هـ، ١١٧٠م وكان تسلسله في الخلافة العباسية الثاني والثلاثين حيث مكث في الخلافة إحدى عشرة سنة أي من عام (٥٥٥هـ) إلى عام (٥٦٦هـ) وكان ذكي بالفطرة ثم صار له معرفة واهتمام والمام في علم الفلك.

٢.واستمرت هذه المدرسة الاتابكية في تأدية رسالتها العلمية التعليمية كمدرسة دينية طيلة مدة خلافة المستضيء بأمر لله، الحسن بن المستنجد بالله العباسي الذي ولد سنة ٥٣٦هـ، (١١٤٢ – ١١٨٠م) ومكث في الخلافة تسع سنين ونصف أي من عام (٥٦٦هـ) إلى عام (٥٧٥هـ) حيث توفي في سلخ شوال من عام (٥٧٥هـ).

٣.ثـم امتـدت هـذه المدرسـة التكريتيـة بعمرهـا التعلـيمي، إلى السـني الاول مـن مـدة خلافـة الامـام النـاصر لـدين الله ابي العبـاس احمـد بـن المستضيـء بـالله العبـاسي، بـاني المدرسـة المستنصريـة. الـذي ولـد في يـوم الاثنـين ١٠ رجـب سـنة ٥٥٣هجريـة والـذي مكـث في دسـت الخلافـة سـت وأربعـين سنة ونصف، أي من (٥٧٥هجرية) إلى(٦٢٢هجرية).



الأتابكة المعاصرون للمدرسة

ان الحقبـة الـتي تعـود إليهـا المدرسـة الهماميـة هي بـلا شـك (الحقبـة الاتابكيـة) وهي تشـكل جـزاءا مـن العصرـ العبـاسي الثـاني او الأخـير ولقـد كانـت تكريـت حاضـنة هـذه المدرسـة تعـد اتابكيـة ذات أهميـة ومـن خـلال الـتمعن في مـا ورد عـن المدرسـة الهماميـة في المضـان التاريخيـة الـتي أشـارت إليهـا يمكـن القـول بإنهـا كانـت قـد زامنـت في القيـام عهـود حكـم اثنـين مـن الاتابكـة ممـن يعـدون نـواب الخلفـاء في حكـم وإدارة الإقليم الإداري الذي تنتمي إليه هذه المدرسة إذ أنها:

١. بنيـت هـذه المدرسـة خـلال مـدة حكـم الاتابـك (الملـك) سـيف الـدين غـازي بـن الاتابـك الملـك قطـب الـدين مـودود بـن الاتابـك عمـاد الـدين زنـكي صـاحب الموصـل والجزيـرة الفراتيـة والـذي كانـت بلـدة تكريـت تابعـة لحـدود حكمـه حيـث ان تكريـت كانـت بوقتهـا تعـد (مسـتحفظة) أي مركـز إقطـاع مـن اقطاعـات الاتابكيـة الزنكيـة الـتي تتمـدد عـبر شـهر زور شمالا والجزيرة الفراتية غربا وحتى بلدة تكريت جنوبا.

٢.ولقـد امتـد وجودهـا كمدرسـة دينيـة واسـتمرت تـؤدي وظيفتهـا التعليميـة طيلـة عهـد الملـك عـز الـدين مسـعود بـن قطـب الـدين مـودود بـن زنـكي والـذي حكـم بعـد شـقيقه الاتابك الملك سيف الدين غازي من ٥٧٦هـ إلى ٥٨٩هـ.

حقيقــة لــم تســعفنا المــوارد الخبريــة الــتي وقعــت بأيــدينا في التعــرف عــلى قائمــة الشــيوخ والفقهــاء والمحــدثين والمعيــدين الــذين درســوا أو أعــادوا في هــذه المدرســة، إذ لــم نقــف عــلى أســماء أيا مــنهم بالواضــح الجــلي، غــير أننــا يمكــن أن نســتعرض بعضــا أســماء مــن عــاصروا قيامهــا مــن العلمــاء التكارتــة ممــن كانــت لهــم مكانتهم في ميــدان التعلــيم مــن شــيوخ كــرسي فلعــل مــنهم مــن قــد ألــقى الــدرس فيهــا خاصــة أو اســمع بهــا أو نــاظر فيها. وإنها تقوم في بلدتهم الام التي ما انقطعوا عنها وهم:

القــاضي يحــيى بــن القاســم : وهــو: الإمــام الفقيــه والمحــدث تــاج الــدين أبــو المفــرج يحــيى بــن القاســم التكــريتي المولــود بتكريــت ســنة ٥٣١هجريــة والمتــوفى ببغــداد ســنة ٦١٦هـ. الــذي ترعــرع في أحضــان عائلــة علميــة فــأبوه مــن أهــل العلــم وقــد تتلمــذ لأبيــه و تفقــه عليــه ثــم ســافر يطلــب الزيــادة في العلــم فكانــت رحلتــه الحديثــة فالموصــل فبغــداد بعــدها عــاد إلى بلــده تكريــت بعــد ان أصــبح شــيخا مــن جملــة الشــيوخ مــزودا بالإجــازات العلميــة وحمــلا بروايــات شــيوخ عصره فــولي القضــاء في بلــده وعهــد إليــه بالتــدريس فيهــا فقصــده الطــلاب مــن تكريــت ومــن غيرهــا ولعــل شــهرته في تكريــت هي الــتي أدت إلى اســتدعائه للتــدريس في نظاميــة بغــداد ســنة ٦٠٧هـ عــلى انــه آخــر ســنة مــن حياتــه تــرك التــدريس في النظاميــة ولــزم رباط شــيخ الشــيوخ متــوفرا عــلى تحصــل العلــم الــديني ولقــد كان حيا وفعالا بنشاطه ومتواجدا في تكريت إبان وجودها.

علم الدين عبد الرحمن: وهو الفقيه والقاضي، أبو النجيب عبد الرحمن بن جمال الدين احمد بن المفرج بن درع التكريتي. ذكره ابن عمه القاضي تاج الدين يحيى في تاريخه كونه قد قرأ على والده جمال الدين القرآن والتفسير ثم ذهب ليتفقه بالنظامية ثم صار يعظ الناس وينشئ الخطب ثم انتدب لتدريس الفقه بماردين ثم تولى قضاء بلدته تكريت في أواخر عمره حيث توفى في عام ٥٧٦هجري وبذلك فانه لا يعدو ان يكون قد درس في الهمامية حيث ان وجوده في بلدة تكريت قد جاء معاصرا لقيام الهمامية.

العفيف أبو النجم: وهو الذي كان في حينها معيدا في نظامية بغداد. وكان حيا إبان وجود المدرسة الهمامية ببلدته تكريت واسمه الكامل: أبو النجم محمد بن القاسم بن هبة الله التكريتي الملقب بالعفيف، الذي كان فقيها في المسائل والخلاف والذي جاء يذكر عنه انه كان في عام ٦٠٤ هـ أحد المعيدين في المدرسة النظامية ببغداد ثم أحد مدرسيها كما ويذكر انه أضحى أحد المدرسين في المدرسة القيصرية التي كانت بالقرب من مدرسة الشيخ السهروردي.

احمد بن المفرج بن جمال الدين: وهو الشيخ الصالح والعالم المجتهد وهو عم القاضي تاج الدين يحيى. ولد في سنة ٤٨٨هـ، وسمع من أبي شاكر محمد بن سعد بن خلف وقد م الى بغداد فأقام فيها في رباط الزوزني، فسمع وتحصل العلم الديني وعاد إلى بلده تكريت، وحدث ووعظ فيها، وتوفي فيها في ليلة عيد الفطر من سنة ٥٨٣هجرية.

أبو البركات محمد التكريتي: هو الفقيه والمحدث الشيخ أبو البركات محمد بن احمد بن سعيد التكريتي المتوفى في تكريت في العام ٥٩٩هجري، وهو الذي كان حينا من الزمن مدرسا للفقه الشافعي في المدرسة النظامية في بغداد. ولقد كان حيا ومعطاءا إبان وجود المدرسة الهمامية في تكريت.

عبد الله بن سويدة التكريتي: هو الفقيه المحدث الشيخ عبد الله بن علي بن عبد الله بن عمر بن الحسن المشهور بابن سويدة التكريتي. كان فقيها محدثا، سمع الكثير وكتب ورحل في طلب الحديث، سمع منه جماعة من أهل تكريت وممن وردها. كان عالما بالحديث وله تصانيف حسنة منها (تاريخ تكريت) وخرّج مشيخة في الحديث عرفت بمشيخة ابن سويدة. وتوفى في تكريت سنة ٥٨٤هجرية. ولقد كان حيا إبان وجود هذه المدرسة في تكريت ولعله حاضر فيها.

يوسف بن القاسم بن المفرج: وهو أخو القاضي أبا زكريا يحيى بن القاسم. ولد في تكريت في عام٥٢٥هجري، درس الفقه والأدب على والده الفقيه القاسم بن المفرج وعلى عمه الشيخ جمال الدين احمد بن المفرج وسمع ببغداد من جماعة من مشايخها ثم سكن بإزاء مشهد الكف وحدث بتكريت. وكانت وفاته في أوائل رجب سنة ٦١١ﮪ ولقد كان حيا إبان وجود هذه المدرسة الاتابكية في تكريت.

يحيى بن سعد الله أبو الفتوح بن أبي السعادات: المحدث والفقيه الشافعي. من الشيوخ الصالحين والمحدثين الثقات في تكريت وبغداد. ولد في رجب سنة ٥٣١ﮪ بتكريت

وسمع ببلده من والده ومن جماعة وقدم بغداد مرارا وسمع بها وحدث ببلده وخرّج لنفسه أحاديث وحدث فيها، وعمل بتكريت (دارا للحديث) وكان يحدث بها. قال عنه ابن الدبيثي: في مختصره (رأينا أهل بلده مجمعين على الثناء عليه ويصفونه بالصلاح) وذكر المنذري: (أنهم كانوا يتبركون به لصلاحه ومات في سنة ٦١٨هـ بتكريت).

عبد الله بن عمر بن المفرج: كان يكنى أبو القسم. درس الفقه على عمه القاضي الشيخ تاج الدين يحيى ثم تولى التدريس والاسماع في تكريت، ولقد تخرج على يديه عدد غفير من أبناء اسرته آل المفرج. وجاء عنه انه كان صالحا ذكيا له فطنة، ثاقبة، قرأ القران على والده، وقرا على القاضي الامام تاج الدين يحيى الدروس في الفقه، وكان ينوب عن والده في الخطابة، وسمع الحديث من عمه جمال الدين احمد، وأقام في تكريت يسمع ويشتغل إلى ان سافر إلى الشام بتجارة فتوفي فيها في سنة ٦١١هجرية.

تاج النساء بنت فضائل التكريتي: وهي شيخة محدثة زاهدة صالحة ابنة الشيخ الجليل الفقيه والمحدث فضائل بن علي التكريتي وزوجة الشيخ الحافظ عبد الرزاق ابن الفقيه الشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلي وام قاضي القضاة أبي صالح نصر الجيلي. سمعت من زوجها ومن والده وحدثت. درست مع زوجها، في مدرسة والد زوجها الشيخ عبد القادر الجيلي وعلى يده ويد صحبه توفيت في سنة ٦١٣هجرية. ولقد عاصر ت بحياتها قيام الهمامية.

مجـد الـدين التكـريتي: وهـو أبـو محمـد عبـد العزيـز بـن عمـر بـن القاسـم بـن المفـرج بـن درع، الفقيـه بالنظاميـة في بغـداد وهـو ابـن أخـو الشـيخ القـاضي التـاج الـدين يحـيى التكـريتي، ولقـد ذكـره في تاريخـه ا عـلى مـا يـروى ابـن الفـوطي كونـه ممـن قـرأ عليـه وروى عنـه. ولقـد كـان حيـا في نهايـة القـرن السـادس الهجري والذي هو زمن وجود هذه المدرسة في تكريت.

عمـر بـن عبـد الله بـن المفـرج: هـو الفقيـه المـدرس الشـافعي والأديـب الشـاعر الالمـعي والـذي كـان مـن الفقهـاء الشـافعية يـنظم ويفـتي وكـان إمـام زمانـه، حسـن الـنظم في العلـم، ذا بديهـة، وهـو عـم الشـيخ عبـد الـرحمن بـن يحـيى، وجـاء عنـه انـه ولـد في تكريـت سـنة ٥٤٠هـ وأقـام فيهـا وسـمع واسـمع بهـا إلى جماعـة مـن المشـايخ مـن أهلهـا وممـن قـدمها، وتـوفي فيهـا في جمـادي الآخـرة في السـنة ٦٢٢هـ عـن عمـر نـاهز الاثنـين والثمانين سنة. ولقد عاصر وجود هذه المدرسة في تكريت.

العبـاس بـن يحـيى التكـريتي: شـيخ في الحـديث أجـل، معـروف بـالعلم والفضـل. كـان مقيمـا في تكريـت يحـدث فيهـا. والتقاه وسمع منه الاديب ياقوت الحموي وأثنى عليه.

أبـو القاسـم التكـريتي: هـو محمـود بـن سـالم بـن سـلامة التكـريتي، الفقيـه الشـافعي والأديـب المحـدث الثبـت، واحـد العلمـاء العـدول في تكريـت. قـال عنـه الـزكي المنـذري في التكملـة: (لنـا منـه إجـازة). وقـال عنـه الامـام الـذهبي: (سـمع منـه عبـد الله بـن سـويدة، روى عنـه بالإجـازة ابـن عسـاكر). توفي سنة ٦٣٤ هجرية وأرخ ابن النجار تاريخ وفاته.

كمـال الـدين ابـو بكـر؛ وهـو الشـيخ الفقيـه والمحـدث احمـد بـن القـاضي عبـد الـرحمن بـن القـاضي تـاج الـدين يحـيى بـن القاسـم التكـريتي الفقيـه والمقـرئ. ذكـره ابـن الفـوطي في مجمـع الآداب. وممـا قالـه فيـه انـه ابـن القـاضي والفقيـه ابـو النجيب فخر الدين عبد الرحمن ناظر المستنصرية.

المباركـة خديجـة: وهي ابنـة الشـيخ الجليـل نعمـان بـن ابي منصـور بـن عثمـان التكـريتي، شـيخ تكريـت وعالمهـا، وزوجـة الفقيـه الشـافعي والمـدرس الالمـعي والاديـب الخطيـب صـاحب المصـنفات الشـيخ عمـر بـن عبـد الله ابي القاسـم بـن المفـرج المتـوفى بتكريـت في سـنة اثنتـين وعشريـن وسـتمائة، وام اولاده العلماء الاعلام. وكانت من العالمات المباركات.



تعيين موقع المدرسة

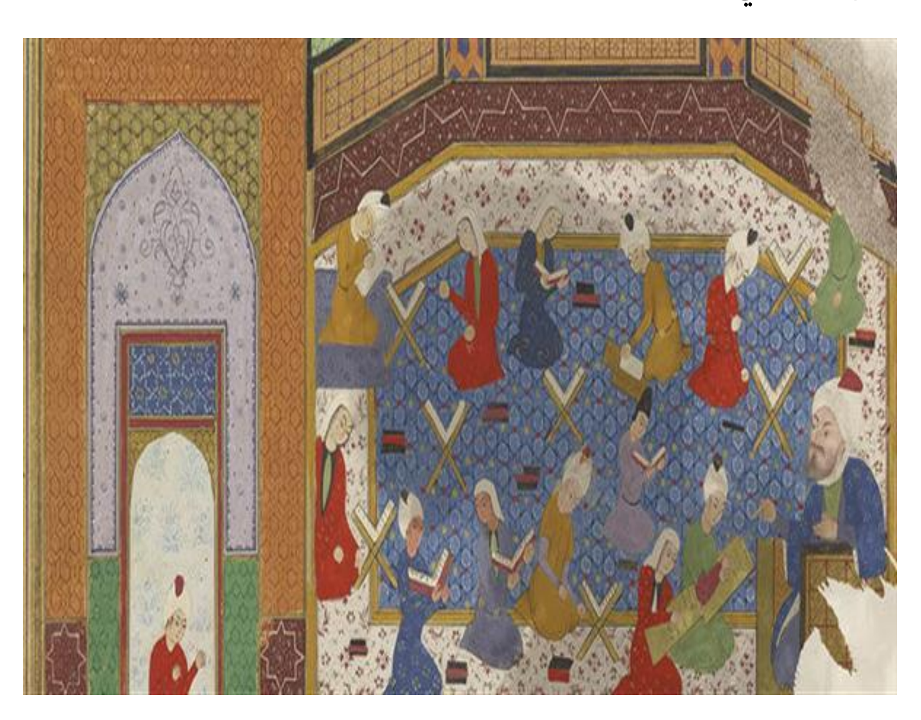
المواقـع الأثريـة هي المواضـع المعينـة الـتي تـم مسـحها ومـن ثـم الاقـرار حولهـا في كونهـا منـاطق تتواجـد فيهـا الآثـار الماديـة القديمـة مـن الـتي تبـين او تشـهد عـلى انهـا مواقـع تاريخيـة أو قبـل تاريخيـة، وممكـن أن تتواجـد في مثـل هـذه الأمـاكن ادلـة كتابيـة أثريـة تبـين الأحـداث الـتي وقعـت في ذلـك الزمـان وذلـك المكـان وعـادةً مـا تتواجـد في هـذه الأمـاكن مبـاني ذات اهميـة تاريخية ومنشآت حيوية لها بصماتها الحضارية.

وبمقارنــة الممــيزات العامــة للنظــام الخطــطي والعمــاري لفــن بنــاء مــدارس الحضــارة الإســلامية في العــراق مــع الخــرائط العماريـة المسـتظهرة لـبعض المواقـع الأثريـة الـتي تـم الكشـف الأثـري عليهـا في قصـبة تكريـت التاريخيـة، أرى وبمـا لا يقبـل الشـك بـان الموقـع الأثـري والتـاريخي المعـروف محليـا بـ (تـل محيسـن) أو مـزارة محيسـن والـذي يقـع اليـوم في قلـب مدينـة تكريـت إن هـو إلا تلـك المدرسـة المعروفـة بـ(الهماميـة) وهـو الــذي تنطبــق عليــه الممــيزات الخططيــة والعماريــة المشــار إليهــا حيــث ان الاطــلاع عــلى خارطــة البنــاء الــتي أظهرتهــا معــاول المنقبـين فيـه سـيظهر بوضـوح كونـه مدرسـة. إذ انـه بهيئتـه وخططـه المكتشـفة يشـترك مـع نظـم بنـاء المـدارس الــتي شــاعت في العصرــ العبــاسي الثــاني فــالموقع مســتطيل الفنــاء تحــيط بــه مشــتملات محورهــا مســجد ذي محــراب مجــوف في القســم الوســطي مــن جــدار القبلــة إضــافة إلى وجـود قاعـات كبـيرة تصـلح بـان تكـون قاعـات درس إضـافة

إلى أن السلم الموجود في جهة الباب ربما كان يؤدي إلى طابق ثاني كانت تشتمله المدرسة ويضم جناح الحجرات الخاصة براحة التلاميذ وأماكن إقامتهم ومذاكرتهم.

فمن هذه الأستدلالات الإخبارية التاريخية ومن تلك القرائن الأثرية البنائية الملموسة يمكن لي أن اجتهد فأقول:

إن موقع تل محيسن الأثري أو كما يسمى (مزارة محيسن) الذي يتوسط مدينة تكريت العتيقة. إنما هو قد كان فيما غبر من الازمان (مدرسة جامعة عالية) وهي لا تعدو عندي أن تكون (المدرسة الهمامية) التي قامت في تكريت في العهد الاتابكي ذلك لتوافق التاريخ ولتشابه الشواهد فضلا على أنها أهي ايضا قد شيدت أواخر القرن السادس للهجرة.



حيوية مكان المدرسة

لـم يكـن يـأتي اختيـار مكـان المدرسـة الهماميـة في خارطـة تكريـت الحضريـة ابـان ذلـك العهـد اعتباطـا إنمـا كـان قـد جـاء عـلى وفـق العـرف المعتـاد آنـذاك والـذي كـان يقـوم عـلى تفضـيل المكـان أو الموضـع بحسـب طهارتـه وقدسـيته الروحيـة لهـذا كانـت ظـاهرة وجـود المـدارس بـالقرب مـن أضرحـة ومراقـد الأجـلاء مـن الصـحابة والتـابعين ومشـاهد ومقامـات الأوليـاء الصـالحين أمـرا مفضـلا ومألوفـا وعـلى هـذا الأسـاس كـان اختيـار مكـان المدرسـة الهماميـة كمـا أرى حيـث يعتقـد بعـض المفكـرين وجـود قـبر في المكـان الـذي قامـت عليـه المدرسـة لأحـد الرجـال الصـالحين حيـث توسـع المكـان ليضـم مقامـا فمسـجدا ثـم آل لـه بـان يكـون في عهـد همـام الـدين مدرسـة دينيـة كـبرى. وان الـذي يـدعم رؤيـتي هـو إن أجـزاء البنـاء وخاصـة منهـا الـتي جـاءت ملحقـة بالمسـجد لـم تكـن مبنيـة في نفـس الفـترة الزمنيـة إذ توجـد حلـول بـين غرفـة واخـرى وعـدم وجـود التعشـيق في البنـاء فربمـا كانـت منشـأة مدنيـة ذات أغـراض اخـرى جـرى تحويرهـا، إذ ان بعـض أقسـام البنايـة الكبـيرة قـد اضـيفت في فـترات لاحقـة وفي مراحل كانت تتحكم فيها دواعي الحاجة وتطور الأغراض.



الصروح الملحقة بالمدرسة

قــبر فخــر الــدين: ان القــبر الــذي أشــار اليــه الــدكتور جــابر خليــل ضــمن تقريــره المعــد في حــق موســم التنقيــب الــذي انجــزه مــع فريقــه في الموقــع الاثــري للمدرســة والــذي لــم يشر الى هويتــه ســوى قولــه بــ (انــه كــان هنالــك قــبر مميــز يتوســط الغرفــة الــتي تأخــذ الــركن الجنــوبي الغــربي للمبــنى) انمــا هــو عنــدي وعــلى حســب قــراءتي لتــاريخ المدرســة لا يعــدو الا ان يكــون قــبر الأمــير الفقيــه والفقيــه الأمــير فخــر الــدين عيسى بــن مودود بن علي التكريتي متولي هذه المدرسة بعد مؤسسها.

قـــبر المنصـــور: إن المـــتمعن في الخارطـــة الأثريـــة للمكـــان التــاريخي المعــروف اليــوم بــ تــل محيســن والــذي فيــه يتجســد الموقــع الأثــري المفــترض مــن قــبلي للمدرســة الهماميــة ســوف يجــد ان هنالــك ملامــح اســس وبقايــا ركــام لصرــح حضــاري يقبع مجاورا له من جهة الشمال الشرقي.

ان تلكم الاسس مـع بقايـا الركـام الـذي عليهـا والـتي تشـكل تـلا أثريـا يتسـمى شـعبيا بـ (تـل قـبر المنصـور) لا تعـدو في رؤيـتي إلا أن تكــون إحــدى الملحقــات المعماريــة المهمــة الــتي كانــت مرتبطـة بالمدرسـة أو تابعـة لهـا. إذ ممكـن تكـون دارا للحـديث أو للإقــراء تابعــة لهــا أو تكــون مارســتانا ملحقــا بهــا أو ممكــن تكـون دكـاكين ومشـاغل حرفيـة كـان قـد خصـص ريعهـا كوقـف لتمشــية امــور المدرســة الإداريــة والخدميــة أو ربمــا تكــون جبانـة لمثـاوي شـيوخها ثـم لعـل القبـة الـتي كانـت والى وقـت قريـب تقـوم عـلى التـل المـذكور وتـدعى محليـا بقبـة (سـيد منصـــور) لا تعـــدو عنـــدي إلا أن تكـــون هي قبـــة ضريـــح

(المنصــور) ابــن أمــير تكريــت فخــر الــدين عيسىـ متــولي المدرسة ووارث رعايتها عن عمه همام الدين.

قــبر معــين الــدين: يـذكره الفـوطي في كتابـه مجمـع الآداب في معجـم الألقـاب، ضـمن ترجمـة متـولي تكريـت الأمـير معـين الـدين أبـو المظفـر بـن عبـد الله بـالنص: (انـه عنـدما توفـاه الاجـل في السـادس مـن شـوال مـن سـنة ثمـان وثمـانين وخمسـمائة، نقـل رفاتـه مـن القلعـة ليـدفن في مشـهد الكـف). وموقـع مشـهد الكـف هـذا عنـدي هـو ذلـك الموضـع المحـاذي لموقـع المدرسـة الهماميـة الافـتراضي والـذي هـو عـلى حسـب تقـديري انمـا كـان قـد اعتـبر مـن قبـل مؤسـس المدرسـة المكان المبارك والطاهر المنتقى بعناية لان تجاوره بنايتها تبركا به.

مشــهد الكــف: وهــو تلكــم (التلــة) المجــاورة لــ المدرســة الهماميـة والـتي جـاءت آكامهـا تضـم: مثـوى الأمـير المنصـور شـمس الـدين الـذي تعلـوه قبـة والـذي يشـتهر لـدى اهـالي تكريـت بـ الشـيخ منصـور. كمـا وتضـم في طياتهـا الـداثرة مثـوى اخـر هـو مثـوى متـولي تكريـت ومتـولي مدرسـتها الأمـير معـين الـدين كنينـو والـذي درسـت معالمـه بالتقـادم للعهـود. ولعـل مـن علائـم اجـلال هـذا المشـهد هـو ان أجيـال النـاس كانـت قـد تـواترت وتوارثـت تسـميته بـ المـزارة. ولعـل وجـوده في المكـان كـان الـداعي الـذي دعـا وآل بـالأمير همـام الـدين تـبر بـن عـلي التكــريتي والــذي هــو عــم ابــاء المقبــورين عنــده لان يبــني بجواره مدرسته التي اسماها(الهمامية) تبركا به وتشريفا لها.

وصف الموقع الأثري للمدرسة

يشــخص الموقــع الأثــري المفــترض مــن قــبلي للمدرســة في الفسـحة الواقعـة خلـف بنايـة اتصـالات تكريـت. وهـو اليـوم عبارة عن خربة من ركام لباقي جدر آيلة للزوال.

قــام الاســتاذ الــدكتور جــابر خليــل التكــريتي بــإجراء موســم تحريـات اثريـة فيـه في سـنة ١٩٦٩م مـن خـلال ترأسـه لفريـق تنقيب وتحري تشكل من قبل مديرية الآثار العامة.

ولقــد صــدر عــن الفريــق تقريــر أعــده الــدكتور جــابر وان مــن بـين مـا جـاء فيـه مـا يـلي: (يضـم الموقـع خرائـب وأنقـاض أبنيـة لاتــزال بعــض بقاياهــا شاخصــة لكــن القســم الأعظــم مــن الجـدران وسـقوف الغـرف وأرضـياتها امتـدت إليهـا يـد العـابثين للتفتـيش عـن اللـقى الثمينـة وأخـيرا اقتطـع الشـارع الـذي يحـده مـن الشرـق قسـما منـه وبعـرض مـترين ونصـف تقريبـا. أي ان الجهات الخارجية لهذا الموقع قد اندثرت معالمها).

قامــت المدرســة الهماميــة في الجهــة الغربيــة الجنوبيــة مــن خارطــة تكريــت الاثريــة العباســية، وجــاءت لتشــكل أهــم الأبنية في مدينة تكريت ولعل ما تبقى منها لخير دليل.

لعلــني لا أتــوهم في تعييــني لموقــع هــذه المدرســة في خارطــة تكريـت اليـوم حيـث أجـد إن موقعهـا لا يعـدو إلا أن يكـون هـو ذاتـه تـل محيسـن الأثـري الـذي يحـاذي فضـائية صـلاح الـدين وبــرج الاتصــالات مــن الجنــوب الشرــقي وهــو ذات الموقــع الأثـري الـذي أكـدت التحريـات الأثريـة الـتي أجراهـا الـدكتور

جـابر خليـل التكـريتي فيـه عـلى انـه يضـم طبقتـين بنـائيتين العليـا منهـا تعـود للعهـد الاتـابكي أي أواخـر القـرن السـادس الهجـري وهي في تخطيطهـا تـدل بمـا لا يقبـل الشـك عـلى كونهـا مدرسـة. وبهـذا يكـون اعتقـادي بأنهـا المدرسـة الهماميـة في محلـه لان المدرسـة الهماميـة أيضـا تعـود للعهـد الاتـابكي فضـلا عـلى أن الريـازة والهيئـة الظـاهرة في مـا هـو متبقي من أجزائها تدلان كذلك على ما ذهبت إليه.

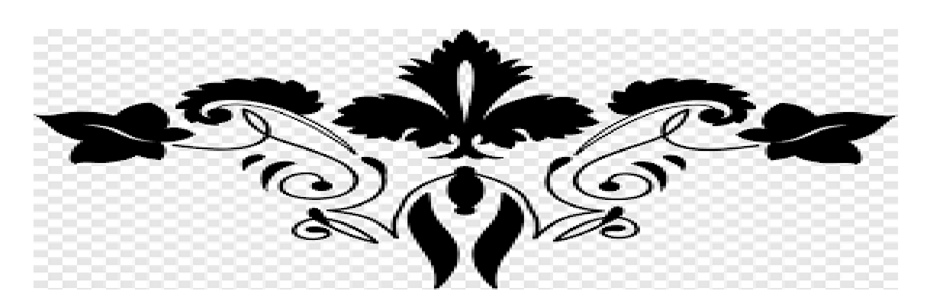
أنهـا عبـارة خربـة أثريـة مازالـت جـدرانها شاخصـة اليـوم للنـاظر إليهـا خلـف بنايـة شـبكة اتصـالات تكريـت. لقـد أجـرى فيهـا الـدكتور جـابر خليـل عمليـات تحـرٍ وتنقيـب في مطلـع السـبعينات مـن القـرن المنصرـم وكشـف في تقريـره عنهـا المنشـور في مجلـة سـومر المجلـد ٣٦: أن جـدرانها المتهرئـة تـبطن في أرضـيتها ثـلاث طبقـات بنائيـة لثلاثـة أدوار حضريـة إسـلامية أقـدمها يعـود إلى القـرن الثالـث الهجـري أمـا أحـدثها فيعـود إلى القـرن السـادس الهجـري. كمـا وكشـف عـن جـدرانها المبنيـة مـن الحصىـ والجـص واسـتظهر مـا تحويـه في طبقتهـا الأحـدث مـن غـرف ومرافـق أخـرى وبيـت صـلاة وقـبر لشـخص مهـم وهي في خططهـا أقـرب لأن تكـون مدرسـة دينيـة عـن أي شيء آخـر. وللتفصـيل عـن خارطتهـا البنائيـة يمكـن مراجعـة عـدد المجلـة المـذكور. وتـذكر بعـض المراجـع بـإن السـيد وليـد ياسـين التكـريتي تـرأس هيئـة فنيـة في عـام ١٩٧٢ لصـيانة هـذه العمـارة كانـت قـد بـدأت العمـل في ٩/٩/ ١٩٧٢ وكتبـت نتائجهـا في تقريـر خـاص. ولقـد ذكرهـا عـددا مـن الكتـاب التكارتـة المحـدثين بكونهـا مـزارة تتسـمى محيسـن كمـا وذكرهـا

عــددا مــن البــاحثين العــراقيين في كتــبهم الأثريــة لعــل مــنهم سـهيل قاشـا صـاحب كتـاب تكريـت حـاضرة الكنيسـة الشرـقية الصـادر عـام ١٩٩٢ إذ قـال عنهـا أنهـا خرائـب كنيسـة. وأمـا أنـا فـأقول إن هي عنـدي إلا آكـام مدرسـة إسـلامية عليـا مؤيـدا بـذلك مـا قالـه الاسـتاذ الـدكتور جـابر خليـل التكـريتي في تقريـره المـذكور آنفـا. ومضـيفا إلى ذلـك القـول اعتقـادي الشخصيـ ورؤيـتي بـان المدرسـة الـتي تجسـدها آثـار خططهـا العمرانيـة إن هي إلا بقايا المدرسة (الهمامية) التي ذكرها التاريخ.

وهنالـك معـالم قليلـة مـن مدينـة تكريـت التاريخيـة قـد بقيـت شاخصة، منها المعلم الذي اعتبرته (المدرسة الهمامية).

وأمـا سـائر مبـاني تكريـت الاثريـة العباسـية وهي كـثر فقـد دثـرت وزالـت مـن الوجـود المـدني لتكريـت وكـان آخـر مـا خـرب منهـا هو صرح مزار الأربعين وقد كان قائما لحد عام ٢٠١٣م.

ويؤخــذ مــن ذلــك كلــه إن بقايــا ركامــات الموقــع الاثــري الافـتراضي للمدرسـة الهماميـة في تكريـت المدينـة العتيقـة إنمـا تعـد مـن أبـرز واجـل الصـور التاريخيـة والنمـاذج الأثريـة الـتي انتهت إلينا من العصر الحضاري الإسلامي بمرحلته الزاهرة.

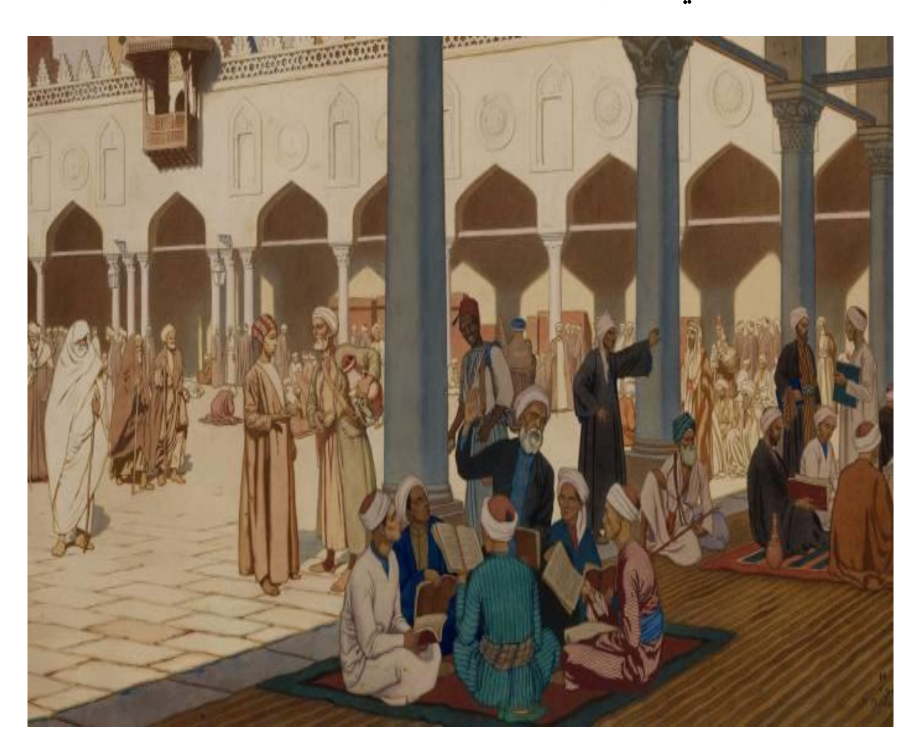


التسمية المحلية لموقع المدرسة

يعـرف الموقـع الأثـري الـذي لـه علاقـة موضـوعية بمحتـوى بحثنـا هـذا محليـا بتسـمية تـل محيسـن أو بمـزارة محيسـن وهـذه التعرفـة تنطـوي في حقيقتهـا عـلى تسـمية شـعبية محليـة غـير معلومـة زمـان الإطـلاق ألا أنهـا اعتمـدت كتسـمية دلاليـة في سـجلات دوائـر الآثـار وفي تقـارير التنقيـب، دون ان يكـون هنالـك تفسـير بدلالـة هـذه التسـمية واصـلها التـاريخي كمـا لـم يتبـين فحـوى الاسـم لا تـواترا ولا كتابـة. ولكنـي في هـذه الفقـرة أحـاول أن ابـدي رأيي الافـتراضي فيـه بالاسـتناد إلى الصـفة الـتي ترفـق بهـذا الاسـم واقصـد كلمـة مـزارة الـتي تسـبق اسـم محيسـن فبمـا ان هـذه التسـمية تشـمل الكلمـة الـتي تعـني المـزار فمعـنى هـذا ان المكـان في أصـله قـد كـان مكانـا طـاهرا وهـو يضـم قـبرا مباركـا ينطـوي عـلى شخصـية صـالحة تحمـل تسـمية محسـن أو المحسـن وتفـرض عـلى النـاس الزيـارة وربمـا ان زمانهـا يـؤول إلى العهـود الاولى لصـدر الدولـة العربيـة الإسـلامية بيـد انـه وبعـد دورات لـدولاب الأزمنـة والأحـوال تبـدل فيهـا غـرض المكان أكـثر مـن مـرة آخرهـا مدرسـة آلـت ان تقـوم عنـد القـبر المبـارك الـذي كمـا قلنـا انـه كـان قـد ثـوي في المكـان بـزمن أقـدم بعـد ان حبـب لبناتهـا ان يبنوهـا قـرب ضريـح هـذا المبـارك الـذي أصـل اسـمه كـان محسـنا ولكـن تداوله شعبيا بالتواتر أماله لفظا إلى محيسن.

وإذا مـا سـئل سـائل عـن ورود أخبـار قيـام مـدارس أو دور تعلـم عنـد المشـاهد أو القبـور أو المقامـات؟ فنقـول لـه: نعـم،

فلقد ورد الكثير من ذلك في تراثنا الفكري العربي والإسلامي، فمثلا ورد في ترجمة الملك أبو سعد الخوارزمي (مستوفي السلطان ألب ارسلان): انه بنى الى جانب مشهد ومرقد الإمام أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه مدرسة جامعة في عام ٤٥٩هجري. وورد في أخبار مصر بحقبتها الحضارية الأيوبية: إن المدارس التي أنشأها الناصر صلاح الدين الأيوبي في مصر والقاهرة كلها كانت مجاورة لاماكن التبرك والزيارة القديمة مثل جامع عمرو وضريح الإمام الشافعي والمشهد الحسيني مما يوحي بأن المنشئ للمدرسة قد أراد ربط المدرسة - المبتكر الحضاري الجديد بأماكن التبرك والتنسك الروحي والزيارة الإسلامية القديمة.



التخطيط والبناء للمدرسة

البنايــة تــجيء عــلى شــكل مســتطيل أطــول ضــلع فيــه هــو الشرــقي البــالغ ٣٩ مــترا وان البــاقي الشــاخص مــن جــدرانها يــتراوح ارتفاعــه بــين ثــلاث مــترات وأربــع وأبــرز مــا تــبقى مــن معالمهــا دعامــات عليهــا بقايــا عماريــة هي عبــارة عــن أكتــاف أقــواس كــذلك هنالــك بقايــا أرضــيات مــن الجــص كمــا وان أهــم جــزء فيهــا هــو الواجهــة الجنوبيــة والــتي تعــد محــور البنايــة الــرئيس وتضــم (بيــت الصــلاة). وهي بشــكل عــام منشــأة مبنيــة بالحصىــ الكبــيرة (الجلمــود) والجــص وأقســام منهــا مبنيــة بالطــابوق الفــرشي الــذي اســتخدم بصــورة قليلــة في تكريــت. ولقــد كسيــ البنــاء كلــه بطبقــة مــن الجــص ثــم إن خارطتهــا البنائيــة الــتي قضــمت منهــا الــدهور قــد وزعــت مرافــق البنــاء عــلى كامــل الأطــراف وان هيئتهــا العماريــة تــوحي أنهــا إنمــا بنيــت لأغــراض دينيــة، ربمــا لا تختلــف كثــيرا عــن بنايــة الأربعــين. ويلاحــظ إن أقســامها البنائيــة العليــا قــد جعلهــا الهــدم والتآكــل هيكــل ركــامي أو خربــة متهاويــة. أمــا أقســامها الســفلى فقــد دفنتهــا الأنقــاض الحديثــة. عــلى الــرغم مــن ان هنــاك بعــض أجزاءهــا مازالــت تحــتفظ بــبعض الأقبيــة الــتي تظهــر بكونهــا مشادة بالجلمود (الحصى) والجص.



تفاصيل الخارطة الأثرية للمدرسة

من خلال مطالعة التقرير الأثري للدكتور جابر خليل التكريتي الذي جاء منشورا في مجلة سومر في المجلد ٣٦ لعام ١٩٨٠م والموسوم: (تنقيبات الموسم الأول في تل محيسن بتكريت) يمكن للباحث عن تفاصيل صرح المدرسة التعرف على المشتملات الآتية في موقع الدراسة:

المدخل: يقع المدخل الرئيس للبناية في جانبها الشرقي ويعد المدخل الوحيد لها وهو بشكل سلم عرضه ٣,٣٨م مكون من درجات المتبقي منها ٧ وتبدأ من الأرض المقابلة للجبهة حتى ينتهي بضلع واقع في الجهة الغربية وعلى جانبي هذا السلم جدران تجانبهما دكتان أو مصطبتان.

الصحن: عندما يجتاز الداخل الى المدرسة لمدخلها سوف يصل إلى ساحة مكشوفة (باحة) واسعة مستطيلة الشكل أبعادها هي وهذه المساحة بمثابة المصدر الرئيس للضوء والهواء بالنسبة لمشتملات المدرسة فضلا على كونها مجمع مشتملاتها. ان هذا الصحن في المدرسة الهمامية قد جاءت أرضيته مبلطة بالطابوق (الآجر) الفرشي.

الإيوان: بالرغم من عدم الإشارة من قبل الدكتور جابر خليل بشكل واضح عن الإيوان في البناية غير أنني أرى بأنه يشكل وإحدى الغرف الكبيرة ويطل على الساحة (الصحن الوسطي) إيوان ويقع في الجهة الغربية من خارطة البناية ووجهه على الصحن مقابل مدخل البناية الذي يكون في

الواجهة الشرقية لها وان غرض وجوده إنما هو لأجل الدرس والمناظرة والاجتماع.

بيت الصلاة: مسجد المدرسة أو (بيت الصلاة الرئيس) فيها يشغل الجهة الجنوبية (القبلية) من خارطتها البنائية ويجيء مكانه ليشكل المحور للبناية برمتها وهو يأخذ طول ٢٠,٥٨ متر من امتداد الواجهة الجنوبية (القبلية) وأربعة أمتار ونصف من عرض هذا الامتداد ويتكون من اسكوب واحد تقطعه ثلاث بلاطات والوسطية منها هي اكبر مساحة من البلاطتين الاخرتين والتي تشكل مجنبتين له ويتوسط جدار القبلة في بيت الصلاة هذا محراب مجوف بشكل نصف دائري بعرض ١,٧سم وعمق ٨٠سم ويدخل إلى بيت الصلاة بأربعة مداخل أما صحن هذا المسجد فيصعد عليه بواسطة سلم عرضه متران ونصف ولاتزال بقاياه واضحة. وهنالك مصلّى صيفي يتقدم بيت الصلاة الرئيس هو يحوي أيضا على محراب مشابه للمحراب الأول الذي أشرنا له انفا.

الأروقة: هناك أروقة تجانب بيت الصلاة وهي فاصلة بينه وبين بعض المرافق البنائية المجانبة له من الغرب والشرق للبناية يأتي منها الرواق الذي يتقدم المسجد والذي يمتد على طول بيت الصلاة ويجيء بشكل مستطيل ومنها الرواقين الجانبيين للمسجد واللذان يضمان المدخلين الجانبيين لبيت الصلاة والذين يجيئا بعرض متر واحد.

الحجــرات والغــرف: تحتــوي بنايــة المدرســة عــلى حجــرات وغــرف متجــاورة تحــيط في فنــاء المدرســة. وارى أنهــا قــد بنيــت لتكــون مســاكنا للطلبــة وللمدرســين مــن الشــيوخ أو لتكـون قاعـات للـدرس والمدارسـة وجـاء موقعهـا في الخارطـة البنائيــة للمدرســة في المحــيط أي أنهــا شــغلت الواجهــات الغربيــة والشــمالية وقســم مــن الشرــقية ولقــد بينــت عمليــة التنقيــب في الموقــع أنهــا تعــود لفترتــين تــاريخيتين وان ثمانيــة غــرف منهــا لــم يتبــق مــن جــدرانها ســوى ارتفــاع مــتر ونصــف تقريبا وهي مستطيلة الشكل بإبعاد ٣,٥x٤,٥ متر.

غرفــة القــبر: هنــاك في الــركن الجنــوبي الغــربي مــن بنايــة المدرســة الهماميــة كانــت توجــد غرفــة ركنيــة تشــكل الزاويــة الجنوبيــة الغربيــة وهي تعــد أهــم غرفــة في عمــوم البنايــة، وذلـك لكـونهم قـد وجـدوا في أرضـيتها بقايـا قـبر يـجيء بشـكل صــندوق خشــبي متهــرئ وهيئتــه تــدل عــلى انــه (ذا أهميــة اعتباريـة) في تـاريخ المدرسـة. وأجـد بانـه لا يعـدو إلا ان يكـون قـبر الأمـير أبـا المنصـور فخـر الـدين عيسىـ بـن مـودود التكـريتي متــولي المدرســة وراعيهــا واحــد المــواظبين عــلى القــراءة عــلى شـيوخها، حيـث جـاء الخـبر عـن وفاتـه يـذكر بانـه قـد تـم دفنـه في هـذه المدرسـة. كمـا ويوجـد قـبر ثـاني في المدرسـة تـم العثـور عليـه في أرضـية غرفـة تشـكل الزاويـة الجنوبيـة الشرـقية ويظهـر ان هـذا القـبر بهيئتـه يكـون أقـدم عمـرا مـن عمـر البنايـة برمتهـا ويؤول لعصر حضري اسبق ولغرض مدني أقدم والله اعلم.

الإســالة وتصريــف الميــاه: يوجــد ضــمن الصــحن ثلاثــة آبــار أحــدهما قــرب ســلم المــدخل في الواجهــة الشرــقية والآخــر في

زاويــة الغرفــة الــتي تقــع في الــركن الشــمالي الغــربي للبنايــة والثالــث في الواجهــة الشــمالية والظــاهر ان هــذه الآبــار الــتي تــأتي جــدرانها مكســية بطبقــة مــن القــير كانــت لتــأمين الحاجــة مــن المــاء للشــيوخ والطلبــة للاغتســال والوضــوء والمعيشــة. فضــلا عــن ان هنالــك في إحــدى الغــرف حــوض صــغير كانــت تتصــل بــه اقنيــة ومجــاري فخاريــة عليهــا طبقــة باقيــة مــن القــير تنحــدر نحــو الغــرب مــن البنايــة. ان أرضــية الغرفــة المبلطــة بواســطة القــير تنحــدر نحــو الشــمال ويلــتقي الانخفــاض بمجــرى واقــع تحــت الجــدار الشــمالي للبنايــة وتحديــدا في القسم الوسطي من هذا الجدار.

الكتابــات والنقــوش: في التقريــر الأثــري الــذي نشره الــدكتور جــابر خليــل في مجلــة ســومر المجلــد ٣٦ حــول الموقــع مــدار بحــثي جــاء ذكــر عبــارات نصــية مكتوبــة بــالحبر الأســود قــد عــثر عليهــا عــلى طــلاء مــن الجــص عــلى احــد الجــدران الكائنــة إلى يســار محــراب بيــت الصــلاة وكانــت محاطــة بالأصــباغ الحمــراء وبعــض مــن الــدوائر الهندســية وقــد أصــاب التلــف قســما مــن كلماتهــا ومــا تــبقى مــن عباراتهــا يــوحي بالأهميــة الروحيــة للمكــان إذ تشــير واحــدة مــن هــذه العبــارات ان شخصــا يعــرف بــابي الفــرج بــن عبــدالله النصــال قــد حضر الموضــع وهنــاك عبــارة اخــرى لــم يتبــق منهــا ســوى الجملــة التي نصها جاء يقول (...العبد الفقير إلى ربه).

وان تعلــيقي عــلى هــذا الأمــر هــو ان مثــل هــذه الأمكنــة الطــاهرة والمباركــة كانــت قــد اعتــادت عــلى الزيــارة مــن قبــل أهــل الرحلــة العلميــة مــن شــيوخ الإســلام ومــن قبــل أهــل الســياحة الروحيــة

من أهل التصوف. ولعلني لن أتوهم ان قلت إن هذا الاسم المذكور آنفا ان هو إلا علم من مشايخ أهل التصوف كان قد حل في المكان بعد حين من عطاءه ليقوم بواجب الزيارة الروحية لأضرحة شيوخه من التي باتت في المكان.

أعمال دوائر الآثار: بعد ان أنجزت معاول المنقبين أعمالها وكشفت عن مخطط الموقع المندثر وأظهرت هيئته العمارية بالكامل في موسم التحري الذي تم فيه والذي اجري في المدة ١٩٦٩ الى -١٩٧١ م وكان فريق العمل فيه برئاسة الدكتور جابر خليل التكريتي وعضوية كل من خالد خليل وقحطان عبد الحميد وخضر عبدالله وطه إسماعيل الدهام ، قام فريق العمل بإحاطته بسياج لحمايته من التخريب فقط، ولعلني هنا لا أجانب الحقيقة إذا قلت أنها كانت العملية الوحيدة التي حصلت بحق هذا الموقع دون ان يعقبها أي مواسم تحري أو أي مواسم صيانة وتعمير اخرى لاحقة رغم دوامة المؤثرات والأحوال التي أتت متوالية وقضمت أشياء من هذه البناية في الزمن اللاحق وصولا إلى اليوم حيث أمست في حال لا تحسد عليه وهي تعيش به أنفاسها الأخيرة قبل الزوال رغم أصالة صيتها فليس هنالك من ينصفها حتى لو كان استذكارا لها.

الطبقات السفلى للموقع: ان غالب تلك المشتملات العمارية التي ذكرنا وغيرها من اللواحق المعمارية التي لها علاقة وظيفية بالمدرسة الهمامية موضوعة دراستنا في هذا الكتاب إنما كانت قد اقيمت في أواسط القرن السابع الهجري مكونة طبقة بنائية ملامحها وهيئتها وخصائصها

العمارية تؤكد أنها ذات وظيفة علمية تعليمية واضحة وقد وجاء قيامها فوق طبقة عمرانية كانت أقدم منها عمرا وهي ذات وظيفة مختلفة عنها، ويمكن أن نطلق عليها(الطبقة السفلى) والتي هي ومن خلال معاينة ملتقطاتها الشيئية وأجزائها الباقية إنما تؤول إلى القرن الثالث الهجري تحديدا وتعكس كونها عبارة عن مشغل للفخار يات أو فرن تزجيج للزجاجيات ،حيث ان التنانير التي عثر الدكتور جابر خليل على بقاياها في المكان باثناء عمليات تنقيبه في الطبقات الاسفل للمدرسة إنما كانت افران او تنانير تنتج الأعمال الزجاجية والفخارية المختلفة الأنواع والأشكال والأغراض من التي كانت تحتاجها مدينة تكريت أو تتاجر بها كالأواني الفخارية المتنوعة المعمولة بطريقة (الباربوتين) وكالخزفيات المزججة وذات الالوان المختلفة وكالخشبيات المعمولة ببراعة والمحفورة بطريقة المشطوف. والتي تعود في صناعتها البديعة الى اواسط القرن الثالث الهجري.



مستندات رؤيتي الشخصية
في تحديد موقع الهمامية

لقد تطرقت الى المدرســة الهمامية في تكريت بعض البحوث والدراســات التاريخية والاثرية التي كتبت عن تاريخ وتراث مدينة تكريت غير ان موضوع موقعها في خارطة تكريت الاثرية لم يحسم امره فالبعض من تلك البحوث تعمد عدم الإشــارة الى موقع هذه المدرسة واكتفى في الإشارة الى قيامها والبعض الاخر كان قد تطرق الى ذلك ولكنه أخطأ او توهم في تعيين هذا الموقع. وانني بهذه الدراسة قد اجتهدت في تحديد موقع هذه المدرسة وما اجتهادي الا رؤية موضــوعية ترتكز الى بعض الاســتدلالات والمســتندات منها المادية ومنها التاريخية. ولعل مفتاح توصــلي الى ذلك واساسه هو الحكم الموضوعي الذي كان قد سجله الدكتور جابر خليل في خاتمة دراســته الاثرية عن الموقع الاثري الذي خلصت في دراســتي الى انه لا يعدو الا ان يكون هو موقع المدرســة. اذ انه قد سجل ما خلاصته: (ان موقع تل محيسن لا يعدو الا ان يكون مدرســة وتفاصــيله ذات شــبه في بعض الشيـء بالاربعين). وهذا الحكم انما أعده اساس إطلاق رؤيتي، واما الشيء الاخر الذي جاء ليدعم هذه الرؤية فهو ان المكان يحتضن ضريح يسميه الاهلون قبر المنصــور وهو في معتقدهم الشــعبي قبر مبارك يزار من قبلهم وان المطالع لتراجم البيت الذي رعى المدرســة الهمامية وادار ها ســيجد ان أحد ابناءه وممن كانوا قد تولوها؛ اسـمه المنصـور وهو ابن راعيها عيسى بن مودود، وان مؤسسها يعد عم والده.

موجز تاريخي
عن بلدة قيام المدرسة

تعـد مدينــة تكريــت التاريخيــة العتيقــة، بلــدة دجلويــة ضــاربة الجــذور في الســفر الحضــاري لمدنيــة بــلاد الرافــدين. حيــث أنها تمتد في وجودها الحضري إلى عصور دويلات المدن.
ثابتــة في موقعهــا عــلى الضـفة الغربيــة لنهــر دجلــة الخالــد، في موضــع وســط مــن أرض العــراق، تقطــع الطريــق الــرئيس الموصـل بـين بغـداد والموصـل، فتبعـد عـن بغـداد بنحـو ١٦٥ كـم شـمالا، وتبعـد عـن الموصـل بنحـو ٢٤٠ كـم جنوبـا، وهي إلى بغـداد أقـرب منهـا إلى الموصـل، وموضـعها مخـدد بعـض الشيء، تتخلله أودية وتلاع وتحيط فيه بعض الشعاب.
وهي اليــوم المركــز الإداري لمحافظــة (صــلاح الــدين)، إحــدى محافظــات الوســط الجغــرافي والمنطقــة شــبه المتموجــة لجمهوريـة العـراق العربيـة الإسـلامية. كمـا وهي اليـوم القصـبة العصريـة الأصـيلة النهضـة ذات الحـس المسـتقبلي والبصـمة التاريخيــة. وقبــل هــذا وذاك كــان قــد عــرف ســفرها المــدني، عددا من الصفات الإدارية الحضرية والعناوين المدنية.
كمـا وتعـد مـن المـدن غـير المعـروف فجـر مـدنيتها، فـلا أحـد الى اليــوم قــد اســتطاع تحديــد مبتــدأ قيامهــا المــدني، كونهــا مــرت في أدوار حضــارية وتاريخيــة موغلــة في القــدم، ومتنوعــة في الحــال، لعــل أهمهــا أدوار العصــور الحجريــة الــتي هي مــن عصـور مـا قبـل التـاريخ. بيـد انـه قـد جـاء القـول عنهـا كونهـا رابــع مدينــة بنيــت بعــد الطوفــان[١] وكونهــا تقلبــت عليهــا الأيــادي، وأن آثــار المبــاني الــتي شــيدت فيهــا وبنــاء الهياكــل والمســارح والميــادين والحمامــات المطمــورة اليــوم بــالتلال.

---

[١]. المقصود به طوفان نبي الله نوح عليه السلام والذي حصل في مبتدأ الألف الثالث قبل الميلاد.

والأطـلال الشاخصــة الجميلــة الشــأن والعمــران انمــا تنطــق بعظــم بناتهــا كمــا وتشــهد عــلى ثــروة أصــحابها ورقي وتــنعم حيـاتهم الـتي كانـت في زمـن آثـل. نعـم أنهـا كانـت وكانـت إبـان العهـــود الحضــارية المتقدمـــة للأكـــديين ثـــم للآشـــوريين فالبـابليين فـالآراميين المتقـدمين ثـم السريـان فـالعرب الاولـين مستوطنا مدنيا معروفا بذات اسمها اليوم: (تكريتا -أين).[٢]
أمـا عــن معــنى اسـمها: (تكريـت) وسـبب تسـميتها بـه، فقـد اختلـف فيـه المؤرخـون. ممـا يعـني أن لهـذا الاسـم بعـدا مـوغلا جـدا في التـاريخ. وأن معنـاه الـذي ينطـوي عليـه مـازال يحتـاج إلى عمــق نظــر مــن قبـل المختصــين في القــراءات القديمــة. فربمـا يكـون يعـني (الحصـن أو الثغـر) أو مـا يقـارب ذلـك مـن معــاني لهــا علاقــة بحصــن المدينــة الــذي يشــكل نواتهــا الاولى وهذا ما رجحته في مباحثي التي كتبتها حول تاريخها[٣].
أن تكريــت ظهــرت واشــتهرت بمســتوى مدينــة منــذ فجــر العهـود الآشـورية والبابليـة كمـا يسـتدل مـن الأخبـار التاريخيـة. وكـان ذكرهـا يـأتي أحيانـا بـذكر قلعتهـا كدالـة عليهـا وأحيانـا بــذكرها كمدينـــة دون قلعتهــا. وفي أحيــان أخــر يــأتي اســمها المـدني الـذي رافـق سـفرها الطويـل مقرونـا مـع اسـمها القـلاعي الـدال عليهـا. ثـم تـوالى ذكرهـا أو ذكـر قلعتهـا في أخبـار الأزمنـة اللاحقـة المتعاقبـة سـواء كـان ذلـك ضـمن حوليـات الملـوك أو ضـــمن الـــرقم الطينيـــة الإخباريـــة الاقتصـــادية أو الدينيـــة أو العسـكرية (المسـمارية) للـدول الـتي قامـت في العـراق. أمـا إذا أردنـــا تتبـــع أخبارهـــا في الكتابـــات الكلاســـيكية القديمـــة أو في مـــدونات المستشرـــقين المحـــدثين مـــن الـــتي وثقـــت أخبـــار العــراق القــديم وأخبــار الجزيــرة الفراتيــة فأننــا ســوف نجــد تعزيــزا وتأكيــدا لكــل مــا ذكرنــا آنفــا. إذ يــذكر صــموئيل كريمــرز

[٢] . ينظر كتابنا: تاريخ تكريت في عصور ما قبل الإسلام.
[٣] . ينظر كتابنا السابق ذكره ص.

في تقريــره ألاثــري: أن العـــالم الجغـــرافي والفلـــكي اليونـــاني بطليمــوس الــذي كـان حيـا في حــدود منتصـف القــرن الثـاني المـيلادي ذكـر تكريـت في جغرافيتـه الخاصـة بالمـدن القديمـة بالنســبة إلى عصرـه تحـت تسـمية (برتـا-baritta). وأكـد هـذا الــذكر كـل الــذين ترجمــوا أعمــال بطليمــوس أو نقلــوا عنهــا ومــنهم البلــداني العــربي يــاقوت الحمــوي في كتابــه معجــم البلـــدان. كمـــا أن العـــالم والمـــؤرخ اليونـــاني إيمـــانوس مــاركيلينوس الــذي عــاش في القــرن الرابــع المـيلادي أطلــق في كتاباتــه عــلى مدينــة تكريـت اســم (فرتــة-virta) وأشـار إلى أنهـا مــن المــدن القديمــة بالنســبة إلى عهــده. ولقــد أشــارت إلى شيء مـن هـذا دائـرة المعـارف الإسـلامية في مـادة تكريـت كمـا وذكـرت عنهـا أنهـا المدينـة الـتي ذاع صـيتها في زمـان الآشـوريين وهي تحمـل نفـس اسـمها الحـالي مقرونـا باسـم القلعـة (برتـة) أو (برتـا). وأن معـنى اسـمها انمـا هـو اسـم محـدث ينطـوي عـلى اسـم لإحـدى القبائـل الـتي سـكنتها والـتي اشـتهرت بـ(ايتوءا) أو باســم برتايــا أي أهــل القلعــة وذكــرت عنهــا أنهــا وردت في أطلــس قـــديم باســـم (برثـــة-birta). وعنـــدما دخلـــت إلى تكريـت الديانـة المسـيحية في القـرن المـيلادي الأول اكتسـبت الهويــة السرــيانية ورشــحت لتكــون محــور الــدعوة للأمــر الســماوي المــذكور ثــم لتصــبح بــه في مطلــع القــرن الخــامس المــيلادي(٥٥٩مــيلادي) العاصــمة الدينيــة للسرــيان الشرــقيين بعــد أن آل أمــر الجثلقــة الشرــقية إلى القــديس مــار أحودامــة الــذي جــاء عنــه أنــه ينتســب لتكريــت. عــلى الــرغم مــن انــه عــدها مركــز دعوتــه التبشــيرية. وهكــذا رسـخت أهميـة المدينـة تكريــت في العـــام المـــذكور وبـــذل أهلهـــا جهـــودا في محاربـــة الهيمنــة الساســانية حــتى كـان مــن جــراء ذلــك أن حكـم الملـك كسرــى أنــوشروان عــلى خلــق مــن أهلهــا بــالموت. وبعــد أن ســقطت مدينــة الحضرــ كانـت قـد خلفتهـا تكريـت في دورهـا

المـدني وفي وظيفتهـا التجاريـة وفي أهميتهـا المكانيـة ممـا جعلهـا تشـتهر بسـمة (تجريـت) نسـبة للتجـارة كمـا جـاء يـزعم مشـاهير كتـاب السريـان. ولقـد كانـت تكريـت في الـدور الساسـاني المنـوه عنـه آنفـا مـن المـدن المهمـة فقـد ذكـر يـاقوت الحمـوي نقـلا عـن العبـاس بـن يحـيى التكـريتي:(أن بعـض ملـوك الفـرس كـان قـد عمـر قلعتهـا (أي جـددها ورممهـا) فجعـل فيهـا مسـالح وربايـا وعيـون). ثـم عنـدما آلـت إلى الرومـان تأسسـت فيهـا الهياكـل والمسـارح والعمـد الضـخمة والمبـاني والعمـائر الباسـقة الـتي تشرـف عـلى دجلـة حـتى ضـاهت بعلبـك وديـار بكـر كمـا يـورد انسـتاس الكـرملي. وبعـد دورات لـدولاب ريـاح الإحـتلالات والتسـلط الأجنـبي المختلفـة الأشـكال أمثـال الاحـتلال السـلوقي والفـرثي والساسـاني ثـم الرومـاني مـن الـتي جثمـت عليهـا في فـترات مـا قبـل الإسـلام. وجعلـت مـن أرضـها ميـدانا داميـا للصرـاع فيمـا بينهـا. فتحـت تكريـت فتحـا إسـلاميا فتنشـق سـكانها مـن العـرب ومـن معهـم مـن بقايـا الآراميـين أريـج الإسـلام الـزاكي في عهـد الخليفـة الفـاروق عمـر بـن الخطـاب رضي الله عنـه وبالتحديـد في ١حزيـران مـن عـام ١٦ هجـري[٤] ، عـلى يـد فرقـة مـن جـيش الفـتح العـربي الإسـلامي للعـراق والجزيـرة قادهـا الصـحابي الجليـل عبـد الله بـن المعـتم العبسيـ تنفيـذا لأمـر الخليفـة الفـاروق القائـد رضي الله عنـه. وبـذلك أضـحت تكريـت قاعـدة لجيـوش الفـتح الإسـلامي المتجهـة مـن المـدائن نحـو شـمال العـراق ونحـو الشرـق، كمـا وأصـبحت مفتـاح الموصـل وشـمالها والجزيـرة الفراتيـة وشرقهـا، ثـم مـا فتـأت أن خلعـت عليهـا مؤسسـة الخلافـة الراشـدة صـفة (كـورة) وهي مسـتوى بلـدي أعـلى مـن قريـة واقـل مـن مدينـة وباتـت تتبـع الموصـل. وفي عهـد الدولـة الأمويـة أضـحت مـن أعمـال ولايـة

---

٤ . ينظر كتابنا: الفتح الإسلامي لمدينة تكريت.

إسلامية يحكمها عامل عربي أسوة بباقي الإعمال الأخرى وكانت كثيرة الموارد. والخراج يجمع منها ويرسل إلى مقر الخلافة في دمشق. كما وكانت مستقرا مناسبا وملاذا آمنا للمعتزلين أو المعزولين من الأمراء والحكام وذلك لتجاوزها الآثار النفسية التي كانت قد تركتها الحركات المصطرعة في النفسية الاسلامية. وفي العهد العباسي وهو عهد الإشراق الحضاري لدولة الإسلام الزاهرة بدت تكريت أوفر نصيبا من غيرها من المدائن في الاهتمام والأهمية في كافة النواحي الحضرية والمدنية وخاصة بعد أن أضحت سامراء حاضرة الدولة الإسلامية، إذ حكمها عدد من الأصحاب والمقربين لمؤسسة الخلافة كما والتزمها مباشرة عدد من الخلفاء العباسيين المتأخرين ومنهم الخليفة القائم بالله والخليفة الناصر لدين الله والخليفة المستنصر بالله فغصت بالخلق من شتى الأعراق والجهات وحفلت بالمساجد والمصانع الحرفية والأسواق والحمامات. واهتمت ببناء المدارس الفقهية والربط ودور الحديث ودور قراءة وتحفيظ القرآن الكريم [٥]. وكان لها دور وإسهام في ازدهار الحركة الفكرية الإسلامية بواسطة العديد من العلماء الذين أنجبتهم والذين نبغوا وبرعوا في فنون الفكر والمعرفة المختلفة ولقد تباهت بأسماء معينة من العلماء الأعلام من الذين أشارت إليهم المصادر والمراجع ولاسيما كتب التاريخ والتراجم والبلدان أمثال أبو النجيب عبد الرحمن ناظر المدرسة المستنصرية وعبد الله بن سويدة وأبو تمام كامل بن سالم وميسور بن محمد والقاضي تاج الدين يحيى بن القاسم وابن البديع وابن باقا وأبو شاكر الفقير. كما واعتزت ببعض المؤسسات الفكرية التعليمية كدار الحديث التي شيدت فيها والتي عدها المؤرخون المحدثون من أقدم دور

---

[٥] . ينظر كتابنا: المدارس التكريتية في عهود الدولة العربية الإسلامية

الحـــديث الشريـــف. كونهـــا ســـبقت دار الحـــديث الكاملية في مصر [٦] . فضـلا عـن أنهـا عـدت إحـدى أهـم دور سـك النقـود والعمـلات وأوثقهـا في الدولـة الإسـلامية، وان الـدنانير الـتي جـاءت تحمـل اسـمها صراحـة (تكريـت) مقرونـا باسـم المتغلـب عليهـا مـن الـتي يحـتفظ فيهـا المتحـف العـراقي اليـوم لخـير دليـل عـلى ذلـك. كمـا وكانـت مـن أهـم مـدن صـناعة الفخاريـات (البـاربوتين) والزجاجيـات الملونـة والتحـف الخشـبية المنقوشـة والموشّـاة والمينـا فضـلا عـن أنهـا كانـت المبتدعـة لفـن الـنقش عـلى الجـدران المعـروف اليـوم بـالنقش المغـربي بيـد أن الـذي سـوقه إلى المغـرب إحـدى الفـرق المغربية التي استقدمها المعتصم واسكنها في تكريت حينا.

كـذلك عـدت في العصر المـذكور مـن ضـمن المنطقـة الغنيـة اقتصـاديا ذات الإيـرادات الـوفيرة الـتي تشـمل جبايـات خـراج الأرض وأعشـار التجـارة وكيـف لا وهي الـتي كانـت تمتلـك مجموعـة مـن الأنهـر والقنـوات لأمـور الـري والزراعـة فضـلا عـن أنهـا تقـع عـلى الحـد الشرقي لمنطقـة ديميـة الإرواء ممـا جعـل الزراعـة تكـون الحرفـة الاولى لسـكانها ولـيس مـن دليـل عـلى اتسـاع الزراعـة فيهـا أفضـل مـن قيمـة الخـراج المستحصـل منهـا إذ أنـه كـان كبـيرا جـدا إذا مـا قارنـاه بخـراج مـدن اخـرى في الدولـة ممـن تمـارس فيهـا حرفـة الزراعـة أيضـا. فلقـد بلـغ خـراج تكريـت عـام ٢٣٤هجـري ٧٠٠,٨٤٩ ألـف درهـم ثـم ازداد بعـد نيـف مـن السـنين ليضـحى ٩٠٠ ألـف درهـم. وان أشـهر المحاصـيل الـتي كانـت تنتجهـا تكريـت هي البطـيخ والسمسـم فضـلا عـن الحبـوب كـالقمح والشـعير. كـذلك أنهـا اشـتهرت أيضـا بتربيـة الماشـية الأغنـام الـذي هيـأ لهـا إنتـاج الأصـواف الجيـدة بـوفرة. أمـا الصـناعة فيهـا فكانـت تقـوم عـلى الإنتـاج الـزراعي بالدرجـة الاولى وتـرتبط بـه

---

[٦] . ينظر الهامش السابق.

وبالإنتـاج الحيـواني إذ اشـتهرت بصـناعة غـزل الصـوف وكـان صـــوفها مـــن أفضـــل الأصـــواف في ســـوق الدولـــة العربيـــة الإسـلامية برمتهـا وهـو يـأتي في المرتبـة الثالثـة في الجـودة بعـد صـوف مصرـ وصـوف أرمينيـة كمـا جـاء في بعـض المصـادر. وأمـا التجـارة فيهـا فـإن لموقعهـا الأرضي أثـرا مهمـا وواضـحا عــلى أن تكــون ســوقا تجاريــة عــامرة ومحطــة لاســتراحة القوافـل البريـة منهـا والنهريـة الـتي تسـتخدم الارمـاث وهي الوسـائل النهريـة الـتي اشـتهر أبناؤهـا بتسـييرها في دجلـة عـلى مــدار التــاريخ. ممــا جعــل وصــفها في رحلــة ابــن جبــير بأنها:(حفيلــة الأســواق). ولقــد ذكرهــا وأطنــب في وصــفها عـدد كبـير مـن المـؤرخين والجغـرافيين والبلـدانيين كـان مـنهم ابـن جبـير الـذي قـال فيهـا: (هي مدينـة كبـيرة واسـعة الأرجـاء، فسـيحة السـاحة، حفيلـة الأسـواق، كثـيرة المسـاجد، غاصـة بـالخلق، أهلهـا أحسـن أخلاقـا وقسـطا في المـوازين.. ودجلـة منهـا في جوفهـا ولهـا قلعـة حصـينة عـلى الشـط هي قصـبتها المنيعـة ويطيـف بالبلـد سـور قـد أثـر الـوهن فيـه وهي مـن المـدن العتيقـة المـذكورة). ومـنهم أبـو الفـدا صـاحب تقـويم البلـدان الـذي قـال عنهـا: (وتكريـت آخـر مـدن الجزيـرة ممـا يـلي العـراق وهي عـلى غـربي دجلـة في بـر الموصـل وبينهمـا سـتة أيـام وقلعتهـا الآن خـراب). وأيضـا ابـن حوقـل صـاحب صـورة الأرض الـذي قـال فيهـا: (ومدينـة تكريـت عـلى غـربي دجلـة .... مطلـة عـلى جبـل عظـيم شـاهق وعـلى ظهـر هـذا الجبـل منهـا الموضـع المعـروف بالقلعـة وكانـت حصـنا ذا مسـاكن ومحـال يشـملها سـور حصـين وهي قديمـة أزليـة لـم تتغـير أبنيتهـا وثاقـة وجلـدا وأبنيـتهم بـالجص والحجـر والآجـر والحصىـ). وكـذلك ابـن بطوطـة صـاحب تحفـة النظـار الـذي قــال فيهــا :(وهي مدينــة كبــيرة فســيحة الأرجــاء مليحــة الأسـواق كثـيرة الجوامـع وأهلهـا موصـوفين بحسـن الأخـلاق

والدجلة من الجهة الشمالية منها ولها قلعة حصينة على شط الدجلة والمدينة عتيقة البناء عليها سور يطيف بها).
وأما ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان فقال عنها :(تكريت بفتح التاء والعامة يكسرونها بلدة مشهورة بين بغداد والموصل وهي إلى بغداد أقرب بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخا ولها قلعة حصينة في طرفها الأعلى راكبة على دجلة وهي غربي دجلة وفي كتاب الملحمة المنسوب إلى بطليموس مدينة تكريت طولها ثمان وتسعون درجة وأربعون دقيقة وعرضها سبع وثلاثون درجة وثلاث دقائق). وأيضا المقدسي صاحب كتاب أحسن التقاسيم الذي قال عنها: (مدينة كبيرة معدن السمسم وصناع الصوف). وكذلك ابن عبد الحق صاحب مراصد الاطلاع الذي قال عنها: (تكريت بلد مشهور بين بغداد والموصل في غربي دجلة ولها قلعة حصينة أحد جوانبها إلى دجلة) وشمس الدين الانصارى صاحب نخبة الدهر الذي قال عنها: (ومدينة تكريت وهي على جبل مطل .... ولها نهر).
والبلداني العباسي المجهول الذي يؤول عام ٣٧٢هجري صاحب كتاب حدود العالم الذي قال عنها: (مدينة على الحد ما بين الجزيرة والعراق، عامرة، نزهة ذات نعمة).
وحمد الله المستوفي الذي قال عنها:(وتكريت فيها سور محيطه ستة آلاف خطوة وأبراجه مكينة). وهكذا الحال مع ابن الفقيه الهمداني وابن رسته وابن خرداذبة والإصطخري وابن سرابيون (سهراب) والحميري وشمس الدين الأنصاري والبكري والعمري وغيرهم من الذين ذكروا أشياء عن أحوالها وموقعها في مدوناتهم ومصنفاتهم الإخبارية او البلدانية. أما أخبار الأعلام من أبناءها وهم كثر فلقد كان لهم حضور واضح جلي في كتب طبقات الأعلام والتراجم والرجال فمثلا يقول السمعاني في كتاب الأنساب

عـــن أعـــلام تكريـــت: (خـــرج منهـــا جماعـــة مـــن العلمـــاء والمحـدثين). وأمـا الحمـوي فيقـول في معجـم الأدبـاء: (ينسـب إليهـا مـن أهـل العلـم والروايـة جماعـة). ولقـد وسـمت تكريـت بصـفة أتابكيـة أو مسـتحفظة إي محافظـة في العهـد الأخـير لدولـة بـني العبـاس وبالتحديـد في عهـد تغلـب السـلاجقة عـلى إقلـيم العـراق. وكـان لهـا في هـذا العهـد شـأن وأثـر كبـيرين. مثلمـا كانـت لهـا حظـوة ومـأثرة بـالغتين بصـفة أنهـا كانـت معقـلا مـن المعاقـل السـلجوقية المهمـة والفاعلـة. ولعـل مـاتبقى مـن آثارهـا وتاريخهـا عـن هـذا العهـد لهـو دليـل واضـح عـلى ذلـك. ولقـد ظلـت تكريـت في كنـف الحكـم الإسـلامي مـدة طويلـة مـن الـزمن وقـد تـوافرت عليهـا أسـباب الحيـاة الرغيـدة ونعمـت في بحبوحـة مـن الرفـاه وأصـبحت قلعـة عربيـة إسـلامية لكـن الزمـان أدار لهـا ظهـره فطالتهـا يـد التقتيـل والتـدمير والتخريـب عـلى يـد المغـول بقيـادة الخـان هولاكـو البـاغي، ثـم عـلى يـد التتـار بقيـادة تيمورلنـك البـاغي. وأمسـت في فـترتي تسـلط المغـول والتتـار المتعـاقبتين بلـدة صـغيرة عـلى الـرغم مـن أنهـا كانـت ذات أهميـة مـن الناحيـة السـوقية بالنسـبة لمجابهـة الغـزاة إذ عـدت مدينـة متوسـطة لهـا حـاكم بدرجـة أمـير كمـا وعـدت إحـدى أهـم قواعـد المقاومـة العربيـة الإسـلامية ضـد وجـود هـؤلاء الغـزاة كـذلك عـدت معقـلا للثـوار ومـأوى للأحـرار. ولقـد تحـدث عـن أمـر تيمورلنـك مـع تكريـت العلامـة ابـن خلـدون في تاريخـه بقولـه: (وقـد كـان بعـدما اسـتولى تيمـور عـلى بغـداد زحـف بعسـاكره إلى تكريـت مـأوى المخـالفين وأنـاخ عليهـا بجموعـه أربعـين يومـا فحاصرهـا حـتى نزلـوا عـلى حكمـه وقتـل مـا قتـل مـنهم ثـم خربهـا واقفرهـا وانتشرـت عسـاكره في ديـار بكـر إلى الرهـا). أمـا صـاحب كتـاب عجائـب المقـدور في أخبـار تيمـور فكتـب عنهـا يقـول: (أن تيمـور في أول هـذه السـنة ٧٩٥ سـار بنفسـه وعسـاكره إلى تكريـت

وحاصرها في بقية المحرم كله ودخلها عنوة في آخر الشهر فقتل صاحبها وبنى من رؤوس القتلى مئذنتين وثلاث قباب وخربت البلد حتى صارت نفرة وأثخن في قتل الرجال وأسر النساء والأطفال). وعلى هذه الصورة المؤسفة عفت تكريت بعد أن جالدت النوازل القاهرة لسنين وأحايين.

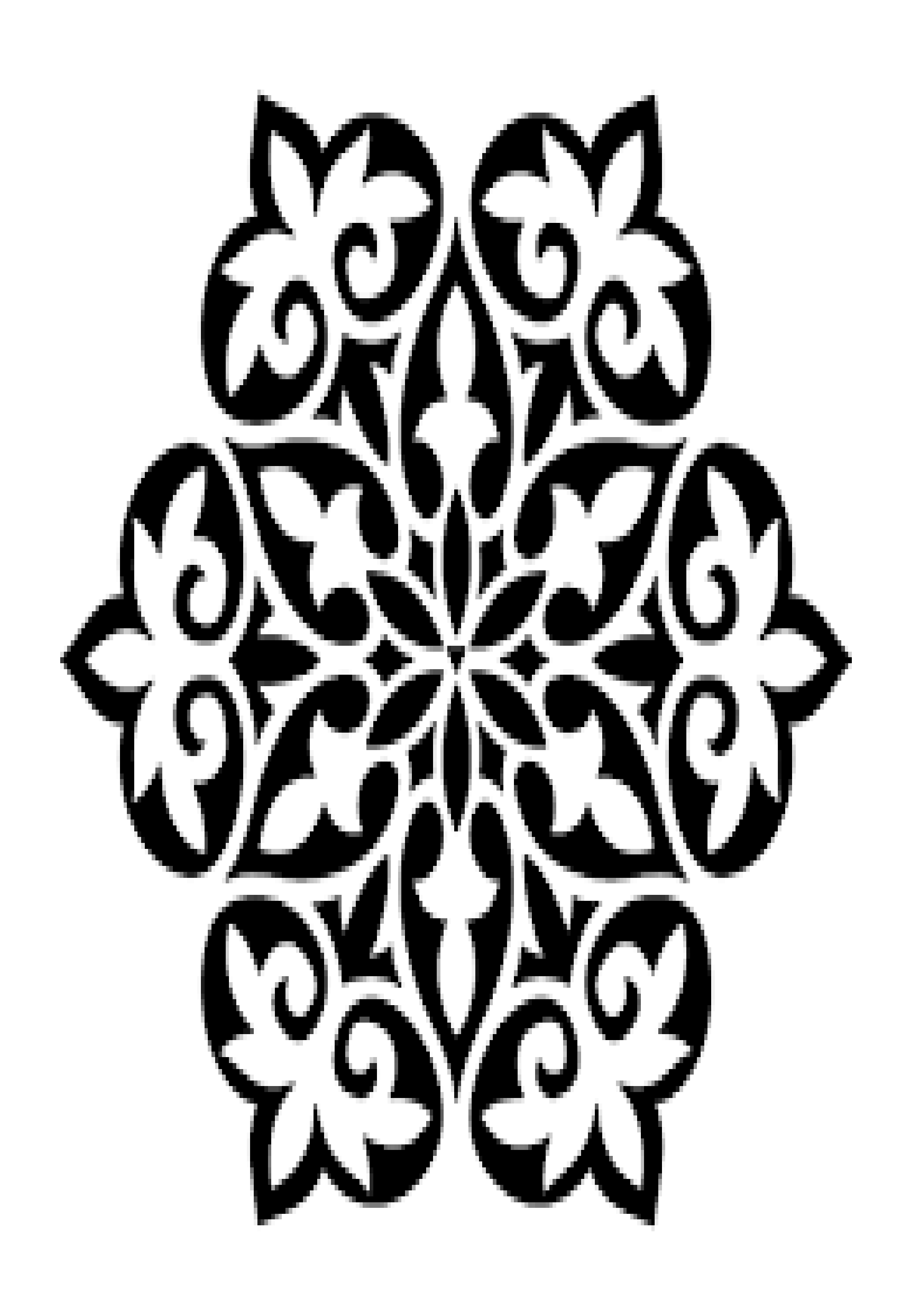
ثم عاودت النهوض من جديد في مبتدأ فترة حكم العثمانيين للعراق فأصبحت في العهد العثماني الأول (سنجق بكي) أي محافظة أو لواء تتبع ايالة الرقة ثم ولاية الموصل شأنها بذلك شأن أسكي موصل وكشاف وباتت يحكمها أمير يحمل لقب بك. كما وباتت تتبع لها المنطقة الممتدة من منطقة سميكة (الدجيل) إلى منطقة الفتحة عند حمرين كما وتعسكر فيها قوة من الجيش العثماني بمستوى لواء على ما يذكر نيبور في رحلته. وبقيت تكريت بدرجة (لواء) سنجق خلال الفترة ١٥١٨م-١٨٧٢م[٧]وكانت تتأرجح في التبعية الإدارية بين ولايات الرقة فالموصل وبغداد فمثلا أنها وفق إحدى الوثائق التي تعود للفترة ١٥٦٣م-١٥٧٤م كانت سنجق يتبع ولاية الموصل وحسب سالنامة عام ١٨٤٩م كانت سنجق يتبع ايالة بغداد. ثم بعد أن انتهى الدور غير المباشر في الحكم أي بعد أن أعاد مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢) تنظيم الإدارة في العراق وتأسيس الحكم المباشر فيه اعيد النظر في مستوى تكريت الإداري فألغيت درجة (سنجق) التي كانت تتمتع بها. ورسمت بدرجة ناحية تابعة لقضاء سامراء في (١٨٧٢) وبقيت على مستواها المذكور حتى نهاية العهد العثماني ترتبط فيها عدة قرى منها إمام دور (الدور) ودجيل (سميكة) وبلد وعوجا (العوجة) وكانت في هذه الفترة

---

[٧]. علي، شاكر علي، الأوضاع الإدارية والأهمية العسكرية لتكريت في العهد العثماني، موسوعة مدينة تكريت، ج٥، دار الحرية، بغداد١٩٩٨، ص٢٠.

تمتلك جيش محلي باسم (عسكر تكريت). كما وكانت في عهد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني مقرا لنقيب أشراف الخمس بلدات والتي هي (سامراء وتكريت وبلد والدور وسميكة) بعد أن انتخب أحد ساداتها وهو احمد حمدي الناصري نقيبا لأشراف الخمس بلدات المذكورة أي صار نقيبا لأشراف الخمس. وأننا للأسف وبعد جهد في التحري الميداني لم نجد شيئا له أثر تاريخي يعكس الأدوار العثمانية فيها وخاصة في مجالات العمران سوى بناية سراي الحكومة وعددا من المساجد والخانات المقامة لسكنى المسافرين ومدرسة رسمية واحدة انشأت في عام ١٩١٣ م وفق ما جاء في كتاب تاريخ التعليم في العهد العثماني للدروبي. فضلا على مزار هو مزار الأربعين. ولعل السبب في ذلك هو أن العثمانيون لم يهتموا بتكريت ذلك لأنهم كانوا لا يعدونها في سياستهم ذات أهمية مدنية بالغة وذات حيوية. ولقد انتهى شوط العثمانيين في تكريت في عام ١٩١٧ إذ بعد إكمال القوات البريطانية احتلالها لمدينة بغداد ومن ثم احتلال سامراء تمكنت من احتلال تكريت في ٦ تشرين الثاني من عام ١٩١٧ بعد معركة خاسرة للعثمانيين حدث جراءها سقوط عدد من قذائف المدفعية البريطانية على بعض منازل تكريت وبقرب مسجد وأدت إلى استشهاد عددا من المواطنين. ولقد انتهت عملية احتلال تكريت بتحليق طائرات البريطانيين لاستطلاع الموقف النهائي في المكان. وعدت تكريت عشية الاحتلال البريطاني لها المكان الوحيد بين سامراء والموصل الذي من الممكن أن يطلق عليه اسم مدينة حسبما جاء في تقرير الاستخبارات البريطانية عن العراق. وكانت طيلة فترة عملية الاحتلال مقرا لقطعات من جيش الاحتلال البريطاني حيث أنهم عسكروا في ضاحيتها الشمالية والمكان الذي

عسـكروا فيـه يسـمى اليـوم الطـوب خانـة. وان تكريـت منـذ الاحـتلال البريطـاني لهـا وحـتى عـام١٩٥١م مـرورا بقيـام الحكـم الـوطني في عـام ١٩٢١م كانـت ناحيـة تتبـع الى قضـاء سـامراء مـن لـواء بغـداد. وفي مطلـع العقـد الأخـير مـن العهـد الملـكي وتحديـدا في العـام (١٩٥١م) أعيـد النظـر في مسـتوى تكريـت الإداري فرسـمت قضـاءا تابعـا للـواء بغـداد، بعـد إن صـدرت الإرادة الملكيـة المرقمـة (٣٥٠) والمؤرخـة في ١٩٥١/٦/١٣ والقاضـية بإلغـاء ناحيـة تكريـت وإحـداث قضـاء باسـم قضـاء تكريـت يتبـع لـواء بغـداد كمـا أحـدثت ناحيـة باسـم ناحيـة بـيجي تلحـق بقضـاء تكريـت وفي عـام ١٩٦٢ اسـتحدثت ناحيـة اخـرى باسـم (العلـم) لتلحـق في قضـاء تكريـت واسـمها المحـلي (الخرجـة)* ولقـد جـاء اسـتحداثها بموجـب المرسـوم الجمهـوري المـرقم (١١٠) لسـنة م١٩٦٢. وبـذلك أصـبح قضـاء تكريـت واحـدا مـن سـبعة أقضـية تتبـع الى لـواء بغـداد خـلال النصـف الأول مـن العقـد السـادس مـن القـرن العشريـن. وفي ٢٩ كـانون الثـاني مـن عـام ١٩٧٦م وسـمت تكريـت مركـزا لمحافظـة سـميت باسـم القائـد المسـلم صـلاح الـدين الأيـوبي بحسـب المرسـوم الجمهـوري رقـم (٤١) لتكـون المحافظـة الثامنـة عشرـة. تتبعهـا عـدة وحـدات إداريـة بمسـتوى أدنى لعـل أبرزهـا: ناحيـة العلم(الخرجـة) الوحـدة الزراعيـة الـتي تقـع في الضـفة الشرـقية للنهـر والـتي تحتـوي مجموعـة مـن الـتلال الأثريـة والمواقـع التاريخيـة كتـل شـلفحت وتـل حليحـل وتـل أبـو جـاون وتـل علوشـة وتـل السـوك وتـل الشـوك وتـل السـيباط وتـل الخزاميـة وتـل الربيضـة. ومنهـا أيضـا قريـة العوجـة* الـتي تقـع في جنوبهـا والـتي ذكـرت في السـالنامات العثمانيـة، كـذلك قريـة عوينـات ذات الـتراث المتجـذر والـتي تحتضـن آكام أقـدم المـدارس فضـلا عـلى قـرى أخـرى تنطـوي مواضعها على آثار ذات أدوار مهمة.



المصادر والمراجع

١. مجمـع الآداب في معجـم الألقـاب. ابـن الفـوطي. تحقيق مصطفى جواد. دمشق١٩٦٣م

٢. وفيـات الأعيـان. ابـن خلكـان. تقـديم محمـد المرعشلي. بيروت دار إحياء التراث٢٠٠٩م

٣. التكملـة لوفيـات النقلـة. زكي الـدين المنـذري. تحقيـق د. بشار عواد. مؤسسة الرسالة

٤. ذيـل تـاريخ مدينـة السـلام. للحـافظ ابـن الـدبيثي. تحقيق بشار عواد. دار الغرب.٢٠٠٦م

٥. تنقيبـات الموسـم الأول في تـل محيسـن، الـدكتور جـابر خليـل. مجلـة سـومر –المجلـد ٣٦ لسـنة ١٩٨٠م بغداد المؤسسة العامة للآثار العراقية.

٦. الحـديث والمحـدثون في تكريـت. الـدكتور محـيي هـلال السرـحان. موسـوعة مدينـة تكريـت، جـزء الثالث_١٩٩٧م.

٧. الفقـه والفقهـاء في تكريـت. الـدكتور محـيي هـلال السرـحان. موسـوعة مدينـة تكريـت، جـزء الثالـث، بغداد_١٩٩٧م.

٨. القضـاء والقضـاة في تكريـت، دكتـور محـيي هـلال السرـحان، موسـوعة مدينـة تكريـت، الجـزء الثالـث، دار الحرية بغداد-١٩٩٧م.

٩. قاضـيان مـن تكريـت، الـدكتور محمـد قاسـم مصـطفى، موسـوعة مدينـة تكريـت، جـزء الثالـث، بغداد_١٩٩٧م.

١٠. عيون الأنباء في طبقات الأطباء. موفق الدين ابن أبي اصيبعة. ضبطه محمد باسل عيون السود. دار الكتب العلمية. بيروت ١٩٩٨م
١١. التعريف بالمدارس التكريتية. إبراهيم الناصري. عمان ٢٠١٧م
١٢. دليل خارطة تكريت الأثرية. إبراهيم الناصري. القاهرة.٢٠١٦م
١٣. الكشاف الأثري في العراق. الدكتور قحطان رشيد. منشورات المؤسسة العامة للآثار والتراث – العراق، بغداد ١٩٨٧م
١٤. المدارس في العراق. الدكتور بشار عواد. موسوعة حضارة العراق. جزء ٨
١٥. المؤرخ يحيى التكريتي. الدكتور بدري محمد فهد، بحث قدم في ندوة تكريت التي عقدت في جامعة تكريت في عام ١٩٩٠م.
١٦. علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي. ناجي معروف، بغداد ١٩٧٣م.

(سيرة ذاتية)

إبراهيم فاضل الناصري

مواليد: تكريت في سنة١٩٦٤م

الكتب المطبوعة والمنشورة

١. تكريت الخالدة عبر العصور. (بالاشتراك) بغداد، ١٩٨٦م.

٢. الإبانة والتبيين في مرقد ابن جندب ومزار الأربعين. بغداد ١٩٩٧م.

٣. معركة تحرير تكريت عام ١٦هجري. بغداد ١٩٨٨م.

٤. صلاح الدين ومعارك الطريق إلى القدس.١٩٩٠. بغداد.

٥. مدن صلاح الدين سفر تالد وأثر خالد. بغداد.٢٠٠٩م.

٦. تاريخ تكريت في عصور ما قبل الإسلام. دمشق،٢٠١٢م.

٧. الفتح الإسلامي لمدينة تكريت. دمشق، ٢٠١١م.

٨. موسوعة التراث الثقافي لمدن محافظة صلاح الدين (بالاشتراك). دمشق. ٢٠١١.

٩. دليل خارطة تكريت الأثرية، بغداد،٢٠١٢/ والقاهرة،٢٠١٤م

١١. أعلام الصحافة والإعلام من التكريتيين خلال القرن العشرين. القاهرة.٢٠١٦م

١٢. جمهرة المؤرخين من مدن صلاح الدين. دمشق.٢٠١٢م.

١٣. آرام تكريت. دار المشرق. دهوك. ٢٠١٣م.

١٤. المنصورة داحرة الصليبيين وحاضرة آخر سلاطين الأيوبيين. المنصورة ٢٠١٤م.

١٥. ترانيم لموطن القرقاش الأثير - مجموعة شعرية. القاهرة.٢٠١٦

١٦. جمهرة المؤرخين من مدن صلاح الدين. دار أمجد - عمان ،٢٠١٦م

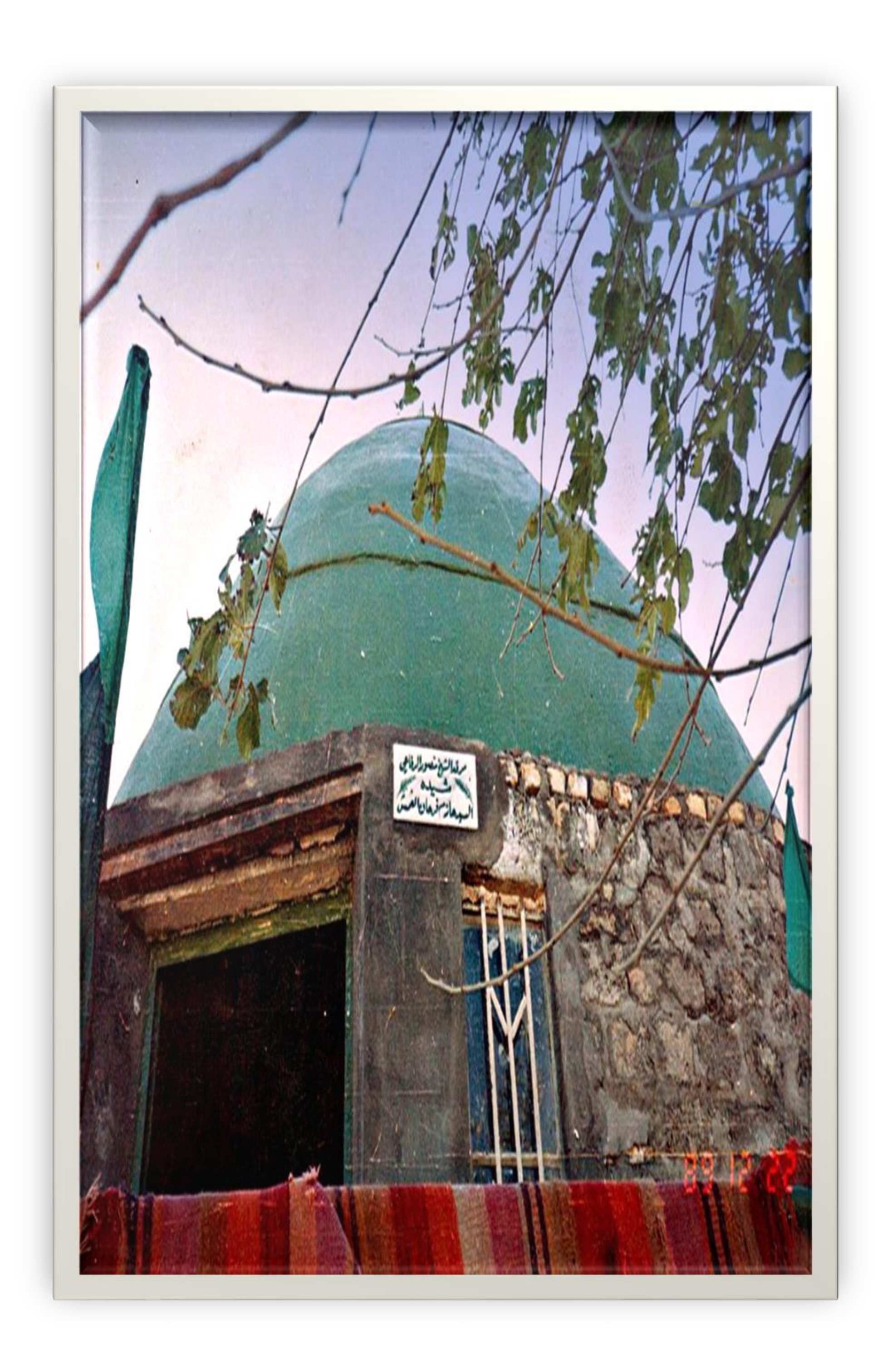
١٧. مدن صلاح الدين أخبار تالدة وآثار خالدة، عمان، ٢٠١٧م

١٨. مدن داثرة ومواقع دارسة في أواسط ما بين النهرين. مكتبة دجلة. عمان،٢٠١٧م

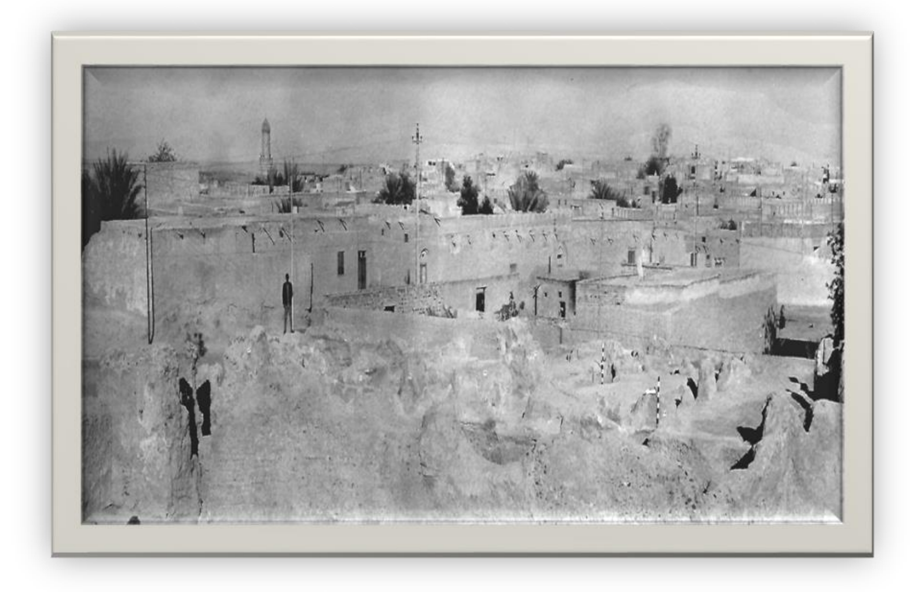
١٩. المدارس التكريتية في تاريخ الحضارة الإسلامية. دمشق،٢٠١٢م

٢٠. اعلام ورموز الصحافة والاعلام من التكريتيين خلال القرن العشرين. قسنطينة،٢٠١٨م



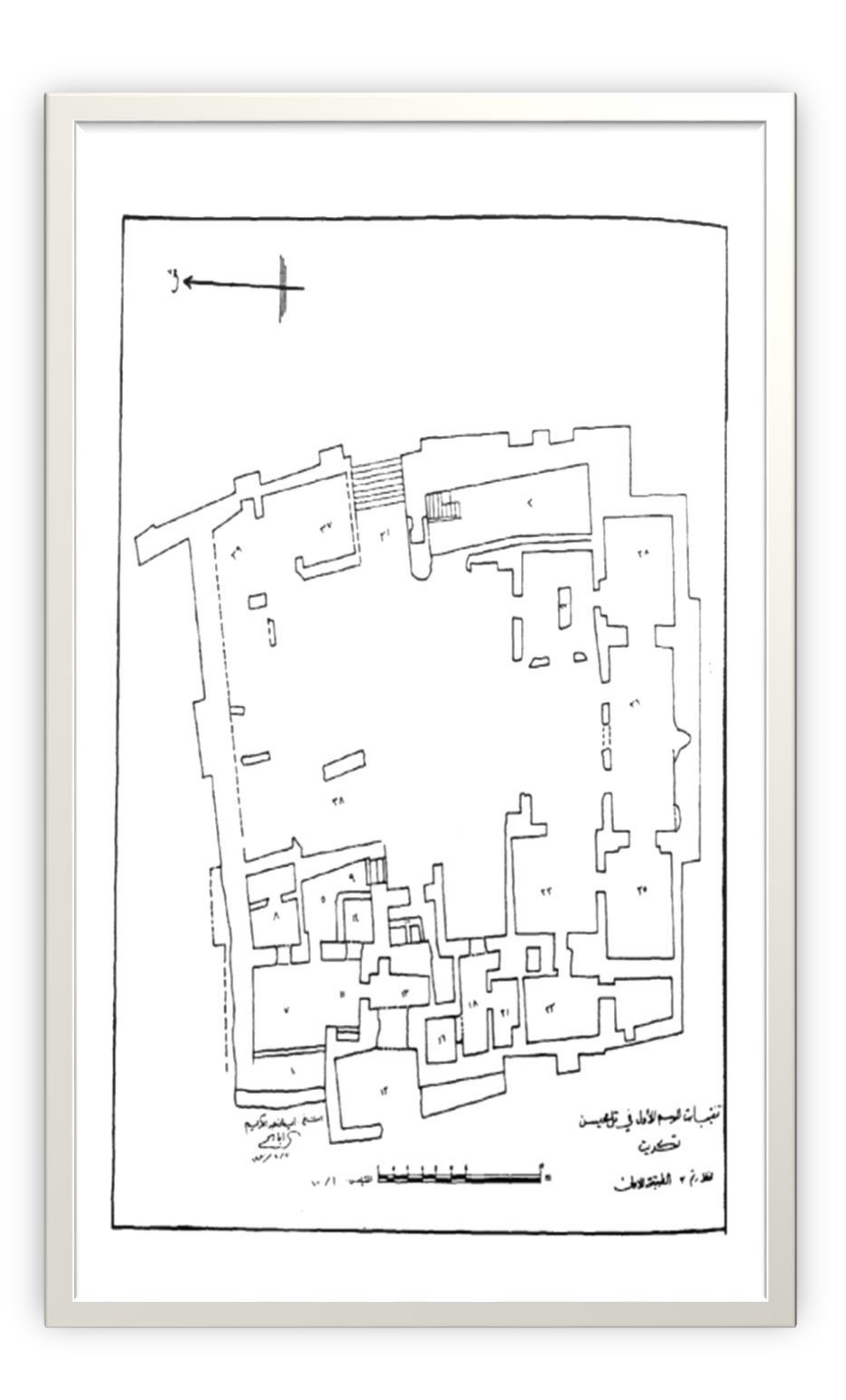

مرقد الشيخ منصور الرفاعي
شيده
89 12 22


تكريت
ناشيونال جيوغرافيك








تكريت
المبنى الأول





المؤلف في سطور ..

إبراهيم فاضل الناصري

مواليد تكريت / عام ١٩٦٤م

خريج كلية الاداب فرع الإعلام

عضو اتحاد المؤرخين العرب

عضو الاتحاد الدولي للمؤرخين

الكتب المطبوعة والمنشورة /

- تكريت الخالدة عبر العصور. (بالاشتراك) بغداد، ١٩٨٦م.
- الإبانة والتبيين في مرقد ابن جندب ومزار الأربعين. بغداد ١٩٩٧م.
- معركة تحرير تكريت عام ١٦هجري. بغداد ١٩٨٨م.
- صلاح الدين ومعارك الطريق إلى القدس.١٩٩٠. بغداد.
- مدن صلاح الدين سفر تالد وأثر خالد. ط- بغداد.٢٠٠٩م/ ط - عمان ٢٠١٧
- تاريخ تكريت في عصور ما قبل الإسلام. دمشق،٢٠١٢م.
- الفتح الإسلامي لمدينة تكريت. دمشق، ٢٠١١م.
- موسوعة التراث الثقافي لمدن محافظة صلاح الدين (بالاشتراك). دمشق. ٢٠١١.
- دليل خارطة تكريت الأثرية. بغداد-٢٠١٢/ القاهرة-٢٠١٤
- المدارس التكريتية في تاريخ الحضارة الإسلامية. دمشق٢٠١٢م.
- أعلام الصحافة والإعلام من التكريتيين خلال القرن العشرين. القاهرة.٢٠١٦م
- جمهرة المؤرخين من مدن صلاح الدين.ط - دمشق.٢٠١٢م /ط - عمان ٢٠١٦م
- آرام تكريت. دار المشرق. دهوك. ٢٠١٣م.
- المنصورة داحرة الصليبيين وحاضرة آخر سلاطين الأيوبيين. المنصورة ٢٠١٤م.
- ترانيم لموطن القرقاش الأثير -- مجموعة شعرية. القاهرة.٢٠١٦
- التعريف بالمدارس التكريتية في التراث العلمي لمدن عراقية وعربية. عمان،٢٠١٧
- مدائن داثرة ومواقع دارسة في اواسط بلاد مابين النهرين . بغداد ٢٠١٧

Omar Ahmed Abdul Khader
2008oaam@gmail.com